الحكم الرهيب

إدجار والاس

روايات الهلال



روائع القصص العالمى

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير . طاهر الطناحي

العدد ١٣٧ * مايو ١٩٦٠ * ذو القعدة ١٣٧٩

No. 137 — May 1960

بيانات ادارية

ثمن العدد فى اقليم مصر والسودان ٨٠ مليما — فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى اقليم سوريا ١٠٠ قرش سورى — فى لبنان ١٠٠ قرش لبنانى — فى الاردن ١٠٠ فلس — فى العراق ١٠٠ فلس

الاشتراك السنوى (١٢ عددا) — اقليم مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا — اقليم سوريا ولبنان (بالطائرة) ١٠٧٥ قرشا سوريا لبنانيا — السعودية والعراق والاردن وليبيا واليمن وغزة والمغرب ١١٠ قروش صاغ — الامريكتين ٥ دولارات — سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا

طريقة الدفع

فى اقليم مصر : بموجب اذونات أو حوالات بريدية أو شيكات — **فى السودان :** بموجب حوالات بريدية وشيكات **فى الخارج :** بموجب حوالة نقدية أو بشيك على احد بنوك القاهرة — وقيمة الاشتراك ترسل مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال أو الى احد وكلائنا ولا يمكن قبول اذونات البريد أو أوراق البنكنوت

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك — القاهرة

المكاتبات : روايات الهلال — بوستة مصر العمومية — مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

روايات الهلال



مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

الحكم الرهيب



بقلم الروائي البوليسي

إدجار والاس



مؤلف الرواية

كان « ادجار والاس » ثالث ثلاثة من المؤلفين الانجليز عقد لهم لواء الزعامة فى كتابة القصص البوليسية خلال القرن الماضى ، والآخران هما : « سير آرثر كونان دويل » مبتكر شخصية شرلوك هولمز ، و « وليم ليكيه » الذى كشف بقصصه عن كثير مما غمض من نشاط جواسيس الالمان فى انجلترا ، وشرح وسائل حياتهم واساليبهم فى التغلغل بين الناس والحصول على كل البيانات النافعة لبلادهم

وقد امتاز ادجار والاس مؤلف هذه الرواية ببراعته التى لاتجارى فيما ابتكره من الغاز طريفة تحفل بها قصصه حتى انه لا يختم فصلا من احداها الا على حادث جديد ، يضيف به لغزا الى الغازها ويحبس أنفاس قارئه شوقا الى معرفة النتيجة ويندر ان تتضح هذه النتيجة الا فى الاسطر القليلة الاخيرة من القصة . .

ومن عجيب امر هذا المؤلف القصصى العبقرى أنه بدأ حياته بائع صحف ، ثم دفعه حبه للبحث والاطلاع الى ترك بيع الصحف ، ليعمل طاهيا فى احدى البواخر حيث أتيح له أن يزور بلادا كثيرة مختلفة وأن يدرس عن كثب حياة أهلها

على أنه مالبث الا قليلا حتى مل حياة التجوال فى البحار . فعاد الى الاقامة بوطنه الاول حيث عمل بائعا للبن ، يحمله الى عملائه مرة كل صباح ،ولبث كذلك حتى قامت حرب البوير فتطوع للعمل جنديا فى الجيش الانجليزى ، وهناك فى جنوبى أفريقيا بدأت مواهبه تظهر وتوجهه الوجهة الصحيحة للقيام بدوره الاكبر فى الحياة وتأدية رسالته الخالدة . فاشتغل الى جانب عمله فى الجيش بمراسلة بعض الصحف الانجليزية وكان اول ما خطه قلمه رسائل ضمنها اخبارا عن حرب البوير ، وعن ابناء تلك البلاد الذين كانوا يفضلون الموت على الاستسلام للانجليز

ولفت نشاطه أنظار أصحاب صحيفة « الديلى ميل » فاختاروه مراسلا خاصا لصحيفتهم فى ذلك الميدان الحربى . ومن هناك عاد الى لندن رئيسا لتحرير تلك الصحيفة الكبرى ..

وكان قد بدأ وهو فى جنوبى أفريقيا كتابة أول قصة له وهى شريعة الاربعة العدول — The Four Just Men أو « الحكم الرهيب » كما ترجمناها بهذا العنوان ، فلما اتمها بلغ من اعجابه بها انه قرر طبعها لحسابه ، ورسم لها خطة دعاية كبيرة ، لم تلبث ان استنفدت كل المال الذى ادخره من اعماله السابقة ، وعندئذ عرض أمر القصة على أصحاب « الديلى ميل » ومدير تحريرها المستر « الفرد هارمزورث » — الذى أصبح فيما بعد — « لورد نورثكليف » عميد الصحافة البريطانية — فأعجب بالقصة وقدم لكاتبها الف جنيه يستعين بها على اتمام نشرها ، ولكن نفد هذا المبلغ ايضا ، مما اضطر « والاس » آخر الامر الى بيعها لاحدى دور النشر بما يساوى ما أنفقه مضافا اليه ٧٥ جنيها !

وابتسم له الحظ منذ ذلك التاريخ فانتقل من الفقر المدقع الى الغنى الفاحش حتى لقد بلغ دخله السنوى من رواياته زهاء خمسين الف جنيه ، ولكنه كان كريما مسرفا فى كرمه حتى كان يبلغ به الامر الى الاقتراض بين رواية ورواية

وكان « أدجار والاس » غزير الانتاج الى حد تعذر معه احصاء عدد ما كتبه من القصص ، وكانت سرعته فى كتابة القصة موضع التندر لدى أصدقائه ومن ذلك ما ذكره أحدهم من انه طلبه يوما بالتليفون فاعتذر له سكرتيره الخاص بأنه بدأ منذ هنيهة كتابة قصة جديدة ، فرد الصديق على السكرتير قائلا : « حسنا ! سأنتظره هنيهة اخرى ريثما يتم القصة ! »

وفى سنة ١٩٣٢ سافر الى هوليوود للاتفاق على اخراج احدى رواياته على الشاشة البيضاء ، ولكن المنية عاجلته قبل اتمام الاتفاق

شخصيات الرواية

جونزاليز «Gonsalez»		
مانفريد «Manfred»	}	الاربعة المنصفون
بواكارت «Poiccart»		
تيرى «Therry»		

المفتش فالموث Inspector Falmouth مفتش باسكتلانديارد

السير فيليب رامون Sir Philip Ramon : وزير خارجية انجلترا

بيلى ماركس Billy Marks : نشال

المستر هاملتون Mr Hamilton : سكرتير خاص وزير الخارجية

المستر ميللر Mr Miller : كهربائى بشارع ريجنت

الفصل الأول

الأربعة المنصفون

اذا تركت ميلان ديل مينا ، فامض الى الشارع الضيق الذى يقع فيه بناء القنصلية الامريكية ، الذى يرفرف عليه من الساعة العاشرة صباحا حتى الرابعة بعد الظهر علم الولايات المتحدة الامريكية . ومن هذا البناء يمكنك ان تمضى الى الميدان الذى يطل عليه فندق دى لافرانس ، حتى اذا انعطفت بعد كنيسة السيدة العذراء ، وسرت فى ذلك الشارع الطويل المسمى شارع قادش ، فانك حتما ستصل الى مقهى الامم « كافيه اوف نيشونز »

فى الساعة الخامسة بعد الظهر ، لايكون فى هذا المقهى عادة غير عدد قليل من الرواد ، يتناثرون فى بهوها ذى الاعمدة الرخامية ، أو حول موائدها المستديرة المتناثرة على الافريز العريض الممتد أمامها

وفى أواخر فصل الصيف من « عام المجاعة » جلس حول احدى هذه الموائد أربعة رجال ، كانوا يتحدثون فى شئونهم العملية

كان أولهم ليون جونزاليز ، والثانى بواكارت ، والثالث جورج مانفريد ، والرابع يدعى تيرى أو سيمونت . وهذا الاخير هو الوحيد الذى يستحق أن نقدمه للقراء ، وسوف يكون التقديم موجزا ، ومن شاء المزيد من التفاصيل فعليه بالبحث عن تاريخ حياته المسجل فى « قسم الشئون العامة » بادارة اسكتلانديارد . وهناك سيجده مسجلا باسم تيرى ، وباسم سيمونت كذلك

فى هذا السجل سوف تجد له ثمانى عشرة صورة فى أوضاع مختلفة ، بعضها وهو حليق الذقن ، وبعضها وقد أطلق لحيته ، وبعضها . . ولكن ، هل من الضرورى أن نستعرض الصور الثمانى

عشرة كلها ؟

الا أنه ينبغى التنويه بأن فى هذا السجل ايضا صورا لأذنيه ، وهما أذنان قبيحتان تشبهان أذنى الخفاش ، وقصة حياته كلها ويمكن ــ على الجملة ــ القول بأن البروفسور باولو مانتاجيزا مدير متحف السلالات البشرية بمدينة فلورنسا قد شرف تيرى هذا بأن وضع دراسة تعتبر مرجعا لجميع المهتمين بالابحاث الجنائية والتحليلات النفسية للمجرمين الخطرين

هذا الرجل كان يجلس الى المنضدة الصغيرة ، فى شىء من التململ والقلق ، يقضم أظافره حينا ، ويقرص وجنتيه حينا آخر ، ويسوى حاجبيه الكثيفين ، ويمر بأصابعه على اثر الجرح الغائر فى ذقنه غير الحليق ، ويقوم بكل هذه الحركات اللاارادية التى يقوم بها عادة الشخص الذى يكون من الطبقة الدنيا ، ويجد نفسه جالسا على قدم المساواة مع اشخاص اعلى منه مركزا او ارفع مقاما

فعلى الرغم من ان جونزاليز بعينيه الزرقاوين ويديه القلقتين ، وبواكارت بوجهه الكبير وعينيه المرتابتين فى كل شىء ، وجورج مانفريد بلحيته المدببة و « مونكله » الانيق ، أقل شهرة من تيرى فى عالم الجريمة ، الا انهم كانوا ــ من ناحية أخرى ــ من عظماء الرجال فى التاريخ كما سوف نعلم بعد حين

ووضع مانفريد صحيفة « هيرالدو دى مدريد » على المنضدة ، وتناول المونكل وراح يمسحه بمنديل نظيف ، ثم ضحك برفق وقال :

ــ ان هؤلاء الروسيين اغبياء

وقطب بواكارت جبينه وتناول الصحيفة وقال :

ــ من هو . . هذه المرة ؟

ــ حاكم احدى المقاطعات الجنوبية

ــ قتل ؟

فقال مانفريد فى سخرية وهو يفتل شاربه :

ــ طبعا لا . ان محاولة قتل شخص ما بقنبلة حماقة كبرى . نعم أعرف ان هذه المحاولة نجحت مرة ، ولكنها طريقة بدائية حمقاء تشبه تماما وضعك لغما تحت سور مدينة لكى ينهار ويقتل عدوك

مع عدد كبير من الابرياء

وراح بواكارت يقرأ الخبر فى الصحيفة ببطء ـ كعادته ـ ثم قال :

ـ ان الامير المقصود بالقتل أصيب بجرح نافذ

ثم لوى شفتيه وأردف قائلا :

ـ ولكن صاحبنا الارهابى فقد ذراعه فى هذه المحاولة

وراح جونزاليز يقبض راحتى يديه ويبسطهما كعادته كلما توترت أعصابه ، وعندئذ أومأ مانفريد برأسه اليه وقال ضاحكا :

ـ ان صاحبنا جونزاليز يتذكر محاولة كهذه قام بها يوما ...

فقاطعه جونزاليز قائلا بسرعة :

ـ كانت مرة واحدة فقط كما تذكر يامانفريد ، وكما تذكر يا بواكارت . وكنت ضد هذه الفكرة ، أتذكرون ؟

ولم يوجه كلامه الى تيرى

وكان يبدو أنه شديد الاهتمام بالتماس الاعذار لنفسه وهو يقول :

ـ وكانت المسألة بسيطة ، كنت فى مدريد عندما جاءنى بعض عمال مصنع فى برشلونة ، وأخبرونى بما ينوون أن يفعلوه . وأصابنى الفزع بسبب جهلهم بتركيب المواد المتفجرة التى كانوا يزمعون استخدامها . واضطررت الى كتابة معادلة كيميائية لتركيب هذه المواد ، وقلت لهم : « أيها الاخوان ، انكم تلعبون بالنار ، وان الصيادلة أنفسهم يخافون القيام بتركيب مثل هذه المواد . واذا كان مدير المصنع طاغية مستبدا فيمكنكم التخلص منه بطريقة ما ، وما اكثر الطرق ! »

وتوقف جونزاليز عن الحديث ، وراح يضرب الهواء بقبضة يده كأنما يهدد مجهولا ، ثم اردف قائلا :

ـ ولكنهم أبوا أن يستمعوا الى نصيحتى

وتناول مانفريد الكأس المحتوية على اللبن المثلوج أمامه ، وقال وهو يغمز بعينيه لبواكارت :

ـ اننى اتذكر ماحدث . لقد مات فى تلك المحاولة عدد كبير من الناس ، ولكن مدير المصنع ، المقصود بالقتل ، نجا ووقف فى المحكمة

ليكون شاهد الاثبات ضد الذين القوا القنبلة

وتنحنح تيرى كأنما يهم بالحديث ، والتفت اليه زملاؤه الثلاثة ، وبدا عليه الضيق والضجر ، وهو يقول :

ـ اننى لا اتكهن بانى ساكون رجلا عظيما مثلكم ايها السادة . فأنا لم افهم نصف احاديثكم على الاقل . فقد اكثرتم من الحديث عن الحكومات والملوك والقادة والساسة وعن الغاية والواسطة . اما انا ، فرايى ببساطة هو اننى احطم راس الرجل الذى يسيء الى اساءة بالغة

وتردد برهة قبل ان يستطرد قائلا :

ـ اننى لا اعرف كيف اعبر عن نفسى كما ينبغى ، ولكننى فهمت انكم تقتلون اناسا لا تحملون لهم حقدا أو كراهية ، اى دون ان يكونوا قد أساءوا اليكم . وليس هذا هو رايى ..

ثم تردد برهة مرة اخرى ، وبدا كأنه يستجمع افكاره ، واخيرا هز رأسه وقرر أن يلتزم الصمت

ونظر الآخرون اليه . ثم تبادلوا فيما بينهم النظرات وهم يبتسمون ، واخيرا تناول مانفريد علبة سجائر كبيرة من جيبه ، وقدح عود ثقاب فى نعل حذائه ، ثم قال وهو ينفث دخان سيجارته :

ـ ان رايك ياعزيزى تيرى هو راى الحمقى من الناس . انك تقتل لأغراض ومنافع شخصية . أما نحن ، فاننا نقتل من اجل العدالة . وهذا يرفعنا فوق مستوى القتلة المحترفين . فاذا راينا انسانا ظالما مستبدا يؤذى اخوانه فى الانسانية أو يرتكب الشرور والآثام فى حق الله والناس دون أن تمتد اليه يد العدالة لسبب ما ، فنحن نوقع عليه العقاب المناسب

وهنا قال بواكارت :

ـ اسمع . حدث اننا عرفنا فتاة عذراء طيبة مستقيمة ذهبت لتعترف أمام قسيس شاب وتلتمس منه المغفرة . واراد ذلك القسيس أن يراودها عن نفسها ، فامتنعت وانصرفت عنه وهى مشمئزة منه ، وابت ان تعود اليه مرة أخرى . ولكنه استطاع أن يستدرجها وأن يسجنها فى بيته ، وأن يغتصبها ثم يعيش معها بضعة أيام . حتى اذا سئمها ، طردها . ولم تستطع الفتاة ان تعود

الى أهلها ، ولم يصدق احد حديثها أو اتهامها للقسيس . والتقيت بها ، ولم يكن لى شأن ، ولكنى عرفت حقيقة أمرها ، وقلت لنفسى « هذا هو ظلم وقع على فتاة بريئة دون أن تمتد يد العدالة الى الجانى » . ومن ثم ذهبت الى ذلك القسيس ذات ليلة وأنا اخفى أعلى وجهى بحافة قبعتى ، وطلبت منه أن يأتى معى ليصلى على رجل يحتضر ، ولم يقبل ان يأتى معى الا حين اخبرته أن الرجل المحتضر يمتلك ثروة طائلة ، وهكذا ركب جواده ، وصحبنى الى بيت صغير فى سفح الجبل ، وهناك اغلقت عليه الباب . فلما علم انه وقع فى الفخ ، قال وهو يلهث خوفا « ماذا تنوى أن تفعل بى ؟ » فقلت له « سأقتلك عقابا لما اقترفته فى حق الفتاة » ولما صرخ فزعا ، قلت له « وفر على نفسك الصراخ ، لأن احداً لن يسمعك ولو صرخت شهرا كاملا » ولما هممت بقتله ، طلب أن استدعى قسيسا ليعترف أمامه قبل ان يموت ، فأخرجت مرآة وقلت له « انظر فيها وسوف تجد القسيس الذى ينبغى أن تعترف أمامه »

وتوقف بواكارت ليرتشف القهوة من فنجانه ، ثم اردف قائلا ببساطة :

ـ وفى اليوم التالى وجدوه ميتا فى الطريق دون اية علامة تدل على الطريقة التى مات بها

وانحنى الجميع نحوه وقالوا فى صوت واحد :

ـ كيف ؟

ولكن بواكارت ابتسم ورفض أن يجيب

وقطب تيرى جبينه ، وتنقل بنظراته الى وجوه الرجال الثلاثة فى شك وتوجس ، ثم قال :

ـ اذا كان فى مقدوركم ان تقتلوا بمثل هـذه البراعة ، فلماذا استدعيتمونى ؟ لقد كنت سعيدا فى حياتى بمدينة جيريز حيث كنت اعمل فى مصنع للخمور . فهناك فى تلك المدينة فتاة اسمها جوان ساماريز ، وانا أحبها . ولما استلمت رسالتكم خطر لى أن آتى واقتلكم جميعا . فقد كنت سعيدا فى حياتى بعد أن استقمت وكانت هناك تلك الفتاة وقد نسيت ماضى حياتى كلها . . .

فقاطعه مانفريد فى ضجر وقال :

ـ اسمع . ليس من شأنك ان تسألنا عن شيء . فنحن نعرف كل شيء عنك . بل نعرف أكثر مما يعرفه رجال البوليس عنك . وفى مقدورنا ان نرسل بك الى حبل المشنقة

وأومأ بواكارت مؤكدا هذا المعنى ، ونظر جونزاليز بامعان الى وجه تيرى وراح يدرس خطوطه بعقلية العالم النفسانى ، بينما استطرد مانفريد قائلا :

ـ اننا فى حاجة الى رجل رابع لنقوم بمهمة ما . وكنا نريد أن يكون رابعنا رجلا لا يقتل الا تحقيقا للعدالة المطلقة . ولما عجزنا عن العثور على مثل هذا الرجل ، لم يسعنا الا الاستعانة بمجرم ، بقاتل مثلك

وفتح تيرى فمه ليقول شيئا ، ولكن مانفريد اسرع قائلا :

ـ بمجرم يمكننا ان نرسل به الى حبل المشنقة اذا حاول أن يخذلنا أو يفشى سرنا . وانت هذا الرجل . انك لن تخاطر بشيء . بل سوف نجزل لك العطاء . ومن المحتمل الا نطلب منك أن تقتل احدا . اسمع !

ومرة اخرى حاول تيرى ان يقول شيئا ، ولكن مانفريد استطرد يقول بسرعة :

ـ هل تعرف انجلترا ؟ يبدو انك لاتعرف هذه البلاد . هل تعرف جبل طارق ؟ انه جزء من انجلترا . انها بلاد تقع فى الشمال . بلاد عجيبة يقيم فيها شعب عجيب . وهناك رجل ، وزير فى حكومتها . وهناك رجال من الساسة الشرفاء الذين هربوا من حكوماتهم المستبدة الطاغية ولجأوا الى انجلترا . اتسمع عن الزعيم جارسيا : مانويل جارسيا ، رئيس المنظمة الديمقراطية ؟ انه الآن فى انجلترا

فأومأ تيرى براسه . وعاد مانفريد يقول :

ـ وقد حدثت فى هذا العام ، والعام السابق ، مجاعات فى كثير من الدول ، وراح الناس الفقراء يموتون بالجملة فى الميادين وامام ابواب الكنائس ، هذا بينما رجال حكومتهم الفاسدة يملئون خزائنهم بالمال ، ولا يفعلون شيئا للتخفيف عن الجائعين . وفى هذا العام ادرك الحكام المرتشون الطغاة أن حركة جارسيا تنتشر بسرعة وتوشك ان تزلزل الارض تحت اقدامهم . وهم يعلمون موطن الخطر ، ويعلمون ان

نجاتهم متوقفة على ان يقع جارسيا فى أيديهم ولكن جارسيا فى مأمن اذا سارت الامور على ماهى عليه اليوم ، غير أن أعضاء الوزارة الانجليزية على وشك أن يقدموا مشروع قانون معين . فاذا تمت الموافقة على هذا القانون فى البرلمان ، فسوف يعتبر جارسيا فى حكم الموتى ، لانه لن يجد بلدا تقبل أن يلتجىء اليها . وعليك أنت أن تساعدنا فى العمل على وقف اصدار هذا القانون فى انجلترا ، ولهذا السبب استدعيناك !

وارتسمت الدهشة والحيرة على وجه تيرى وهو يغمغم قائلا :

ـ ولكن ، كيف ؟

وتناول مانفريد ورقة من جيبه وقدمها الى تيرى وقال ببطء :

ـ هذه صورة نشرة البوليس بأوصافك

ثم وضع اصبعه على كلمة فى وسط الورقة ، وأردف قائلا :

ـ هل هذه صناعتك حقا ؟

فقال تيرى وهو لايزال مندهشا :

ـ نعم

فسأله مانفريد بلهفة :

ـ هل تعرف حقا الشىء الكثير عن هذه الصناعة ؟

ومال الرجلان الآخران الى الامام ليسمعا الاجابة بوضوح

أما تيرى فقد قال ببطء :

ـ انني أعرف عن هذه الصناعة كل مايمكن ان يعرفه انسان فى هذه الدنيا

ثم أردف قائلا وقد شردت أنظاره :

ـ ولولا أننى . . اننى ارتكبت خطأ ما ، لأصبحت الآن من اغنى الرجال فى العالم

وتنهد مانفريد بعمق ، وأومأ برأسه الى زميليه

وقال جونزاليز وهو يضغط على الكلمات بقوة :

ـ اذن ، يمكن القول ان الوزير الانجليزى فى حكم الموتى الآن

الفصل الثانى

رسالة التهديد

فى اليوم الرابع عشر من شهر اغسطس عام ـ ١٩ . نشرت صحيفة التايمز فى ذيل عمود بصفحة داخلية خبرا صغيرا ، مؤداه أن وزير الخارجية مستاء الى حد كبير لانه يتلقى عددا كبيرا من رسائل التهديد ، وانه على استعداد لدفع خمسين جنيهـا لأى شخص يمكن أن يدلى بمعلومات تؤدى الى القبض على الشخص أو الاشخاص الذين يرسلون هذه الرسائل التهديدية اليه

والاشخاص القلائل الذين قرءوا هذا الخبر مصادفة ، اخذوا يعلقون عليه فى نواديهم ومجتمعاتهم قائلين انه لامر عجيب ان يستاء وزير خارجية لانه يتلقى خطابات تهديدية ، لان هذه الرسائل توجد فى بريد جميع الرجال المشتغلين بالشئون العامة والمتصدرين للحكم . واعجب من هذا ، استعداد الوزير لدفع خمسين جنيها للقبض على مرسلى هذه الخطابات . هل يمكن ان يجول فى ذهن هذا الوزير أن هذا المبلغ التافه سيحقق الغرض المقصود ، ويقضى على استيائه ؟

وقرأ محررو الاخبار فى الصحف الاخرى ، الاقل جدية ، والاوسع انتشارا ، ذلك الخبر الصغير ، وهم يتصفحون جريدة التايمز الجادة جدا . وقد أثار هذا الخبر دهشتهم بطبيعة الحال . وقد هتف سمايلز محرر الاخبار فى صحيفة الكوميت قائلا :

ـ عجبا ! ماهذا ؟

ثم قص الخبر ، ولصقه على لوحة من الورق المقوى ، وكتب تحته هذه العبارة « من هم الذين يرسلون خطابات التهديد للسير فيليب ؟ »

ولما كانت صحيفة الكوميت من صحف المعارضة ، فقد كتب

سيرجح كفة الموافقة عليه . اى أن اصدار هـذا القانون أو عدم اصداره يتوقف عليك وحدك

ولهذا السبب يؤسفنا كل الاسف أن نحذرك بأنه اذا لم تسحب الحكومة هذا القانون من البرلمان ، فلن يسعنا الا القضاء عليك ، بل على كل شخص آخر يحاول العمل على اصدار هذا القانون الظالم المجحف

امضاء « الاربعة المنصفون »

وقد استطرد السير فيليب قائلا لمندوبنا :

« ان مشروع القانون المشار اليه ، هو الخاص باللاجئين السياسيين الذين يزاولون نشاطهم السياسى فى الدول التى يلجئون اليها . ولولا المعارضة لمر هذا القانون منذ العام الماضى

وتريث السير فيليب لحظة ، ثم استطرد قائلا :

« ومن المقطوع به ان انجلترا وغيرها من الدول الاوروبية الاخرى يجب الا تحمى هؤلاء اللاجئين الذين يقومون بنشاطهم السياسى ، ويعرضون أوربا لثورة عارمة خطرة . وقد اصدرت كل دولة فى أوربا مثل هذا القانون »

وسأل مندوبنا الوزير الكبير قائلا :

ــ ولماذا تقيم لهذه الرسائل اهمية كبيرة ؟

ــ لاننا نعرف ، عن طريق كل من رجال المخابرات المحلية ورجال البوليس الدولى ، أن كتاب هذه الرسائل رجال جادون خطرون . انهم « الاربعة المنصفون » كما يسمون انفسهم . انهم اخطر مجموعة من الرجال وهم معروفون فى كل بلاد العالم . وجميع رجال المخابرات فى انحاء العالم يبذلون الجهود المضنية لمعرفة كنه هؤلاء الرجال وكشف أمرهم . ان هؤلاء الرجال يعتقدون ــ سواء حقا او باطلا ــ ان العدالة لاتأخذ مجراها فى كثير من الاحيان ، ولهذا نصبوا انفسهم قضاة منصفين ، يعاقبون كل من يفلت من يد العدالة أو كل من تعجز يد العدالة عن ان تمتد اليه لسبب ما . انهم هم الذين قتلوا الجنرال تريلوفيتش الذى أخمد ثورة الشعب الالبانى المطالب بالاستقلال ، وسفك فى هذا السبيل دماء كثيرة . وهم الذين قتلوا المسيو كونراد ، بائع الاسلحة الفاسدة للجيش

الاسبانى ، وقد شنقوه فى ساحة الكونكورد رغم وجود مئات من رجال البوليس حول الساحة . وهم الذين قتلوا بالرصاص الشاعر الفيلسوف هرمان دى بلوا فى مكتبه لانه يفسد الشباب باشعاره الماجنة الزاخرة بمعانى الالحاد والفساد . وهم الذين قتلوا فى نيويورك مدام دسبارد خنقا لانها كانت تتاجر فى أعراض النساء دون ان يستطيع رجال البوليس القبض عليها بسبب نفوذها الواسع . وهذه امثلة قليلة مما قام به أولئك الرجال الخطرون من أجل « العدالة »

وقدم الوزير الكبير قائمة بالجرائم التى ارتكبها هؤلاء الاربعة

وأغلب الظن ان القراء يستطيعون أن يتذكروا الظروف التى وقعت فيها كل جريمة من هذه الجرائم ، ونحسب كذلك اننا جميعا نذكر الى اليوم كيف ان رجال البوليس فى مختلف البلاد قد احتفظوا بسر هؤلاء الاربعة . وما من جريمة من هذه الجرائم تمت بصلة الي غيرها من الجرائم . فلو أنه نشر بيان عن ظروف كل جريمة لما كشف مثل هذا البيان عن وجود هؤلاء الرجال وعن علاقتهم بهذه الجريمة او تلك

وفى استطاعة جريدة الميجافون أن تنشر قائمة وافية بالجرائم الست عشرة التى ارتكبها هؤلاء الاربعة

فمنذ عامين ، بعد قتل لى بوا ، أمكن لاحد رجال البوليس أن يتعرف على أحدهم رغم دقة تدبيراتهم واحكامها ، وذلك حين رآه يغادر منزل لى بوا فى شارع كليبر ، فاقتفى أثره لمدة ثلاثة أيام ، على أمل انه قد يمكن القاء القبض على الاربعة حين يجتمعون معا . على أن هذا الرجل استطاع فى النهاية أن يكتشف انه مراقب فأراد أن يلوذ بالفرار ، ولكن رجال البوليس ضيقوا عليه الخناق حتى حاصروه فى أحد المشارب فى مدينة بوردوا وكانوا قد اقتفوا أثره من باريس . وقبل أن يقتل استطاع هذا الرجل أن يقتل جاويشا وشرطيين . وقد أخذت صورته ، ونشرت فى جميع أنحاء أوربا ، ولكن ما من احد عرف من يكون هذا الرجل ، وماذا كان عمله ، بل لم تعرف جنسيته . وقد ظل كل هذا سرا غامضا الى اليوم

المحرر تعليقا ساخرا ذكر فيه ان الرسائل قد تكون مرسلة من الناخبين الذين استبد بهم الضيق من تصرفات وزير الخارجية وسوء سياسته

وقرأ محرر الاخبار فى صحيفة الافننج ورلد ، وكان رجلا أشيب الشعر ، هذا الخبر ، ثم قصه بعناية وأعاد قراءته مرتين ، ووضعه تحت ثقالة الورق ، ثم نسي كل شيء عنه

وقطع محرر الاخبار فى صحيفة الميجافون ـ وهى من أوسع الصحف انتشارا ـ ذلك الخبر ، وقرأه مرتين ، ثم استدعى أحد مندوبى الاخبار ، وقال له بسرعة :

ـ اذهب الى بورتلاند بالاس لمقابلة السير فيليب رامون ـ وزير الخارجية ـ واحصل منه على قصة هذا الخبر . لماذا يتعرض للتهديد ؟ وماهو السبب فى هذا التهديد ؟ وماهى وسيلة التهديد ؟ ثم حاول أن تظفر منه بنسخة من احدى الرسائل التهديدية ، واذا لم تستطع مقابلة الوزير ، فحاول مقابلة السكرتير ، واحصل منه على ماذكرته لك

ومضى المندوب لينفذ التعليمات

وبعد ساعة عاد فى حالة انفعال شديد تنم على انه ظفر « بخبطة » صحفية رائعة . وأسرع رئيس قسم الاخبار بحمل هذه «الخبطة» الى رئيس التحرير المختص بالسياسة الداخلية ، وقال هذا الرجل الخطير حين قرأ « القصة » :

ـ عظيم جدا . عظيم جدا !

وهو ثناء قلما يظفر به مندوب أخبار منه

اما القصة التى وصفها رئيس التحرير بأنها عظيمة جدا ، فقد نشرتها صحيفة الميجافون فى اليوم التالى بصفحتها الاولى تحت عناوين بالخط العريض :

« وزير فى الحكومة مهدد بخطر شديد »

« تهديد بقتل وزير الخارجية »

« الرجال الاربعة المنصفون »

« يقررون منع عرض مشروع قانون اللاجئين على البرلمان »

« حقائق خطيرة نكشف عنها »

وبعد هذه العناوين ، كتبت الصحيفة مايلى :

« سرت موجة من الاهتمام بين القراء عندما قرءوا الخبر التالى فى عمود الاخبار المخلية بصحيفة التايمز بالعدد الصادر أمس :

« استلم وزير الخارجية ، السير فيليب رامون فى الاسابيع القليلة الماضية عددا من رسائل التهديد يبدو انها صادرة من مصدر واحد ، ومكتوبة بخط رجل واحد . وكانت هذه الرسائل ذات صيغة تحمل وزير الخارجية على عدم تجاهلها او التغاضى عنها ، وقد بلغ استياء السير فيليب من هذه الرسائل حدا جعله يرصد مكافأة مقدارها خمسون جنيها لكل شخص غير كاتبها الفعلى يمكن أن يرشد عن مرسل او مرسلى هذه الرسائل المجهولة »

« والى هنا انتهى الخبر ، وهو خبر غير عادى لان العادة أن رجال السياسة والحكم يتعرضون عادة لمثل هذه الرسائل دون ان يعلنوا عنها ، فقد رات الميجافون ان الامر اخطر مما يبدو ، ولهذا ارسلت مندوبها الى السير فيليب الذى تكرم بالموافقة على مقابلته

وقد أجاب الوزير الخطير على سؤال لمندوبنا قائلا « انا أعرف انه ليس من المألوف ان ينشر وزير خبرا كهذا . ولكننى لم أتخذ هذه الخطوة الا بعد موافقة زملائى فى مجلس الوزراء . وان لدينا من الاسباب مايجعلنا نعتقد تماما ان وراء هذه الرسائل التهديدية أمرا خطيرا جدا . ويمكننى القول ان الموضوع اصبح بين ايدى رجال البوليس منذ عدة اسابيع ، وهذه هى احدى الرسائل التهديدية »

وتكرم الوزير الالمعى بتقديم احدى هذه الرسائل الى مندوبنا ليكتب نسخة منها . ولم يكن بها تاريخ الارسال . وكانت مكتوبة بخط ينم على أن كاتبها من ابناء الدول اللاتينية ، وهى مكتوبة بلغة انجليزية سليمة . وهى كما يلى :

« ياصاحب السعادة :

« ان مشروع القانون الذى تنوى عرضه على البرلمان ، قانون ظالم مجحف . ان الهدف منه تسليم بعض الساسة الشرفاء اللاجئين الى هذه البلاد من ظلم حكوماتهم الفاسدة الطاغية ، الى هذه الحكومات الفاسدة . ونحن نعرف أن الرأى العام الممثل فى البرلمان منقسم على نفسه فى هذا الموضوع ، ولكن نفوذك انت وحدك هو الذى

وسأله مندوبنا قائلا :

ـ وهل هؤلاء الرجال الاربعة لايزالون موجودين بكامل عددهم ؟

فهز الوزير كتفيه وقال :

ـ اما انهم قد استعاضوا عن رابعهم الذى قتل بواحد آخر واما انهم ظلوا ثلاثة

واختتم الوزير حديثه بقوله :

ـ اننى أعلن هذه الحقائق فى الصحف لكى يعرف الراى العام أن الخطر لايهددنى فقط ، وانما يهدد كل شخص من رجال الدولة يراه هؤلاء « الرجال » مستحقا فى رايهم للموت . وهناك سبب آخر ، هو رغبتى فى ان يؤيد الرأى العام أولئك الذين يتحملون اعباء الحكم ويتعرضون لتهديدات رجال كهؤلاء « المنصفين الاربعة » ، ويحاول منع ارتكاب مثل هذه الجرائم التى لاتتفق مع القانون العام

واستطردت الصحيفة فى قصتها « الضخمة » فقالت :

ان مندوبنا قام بتحرياته فى ادارة اسكتلانديارد ولم يستطع أن يظفر بقائمة كاملة للاحكام التى اصدرها ونفذها هؤلاء « المنصفون الاربعة » فى كل رجل او امرأة يرون ان العدالة عاجزة عن الوصول اليه او اليها . وقد أوضحت القائمة حقيقة رهيبة ، وهى أن نشاط هؤلاء الرجال شمل القارات الثلاث : أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية ، وان جميع الجهود التى بذلها رجال البوليس فى أنحاء العالم للقبض عليهم او لمعرفة شخصياتهم على الاقل ، باءت بالفشل

والى جانب ماسبق ان أتينا على ذكره من الحوادث ، فاننا نأتى على ذكر البعض الآخر من تلك الجرائم .

لندن ـ ٧ اكتوبر سنة ١٨٩٩

وجد توماس كاتلار مقتولا فى ظروف مريبة ، ولم يسع القاضى الا ان يصدر حكمه التالى : « قتل عمد بوساطة شخص او اشخاص مجهولين »

أما سبب القتل الذى أمكن لرجال البوليس ان يقفوا عليه هو أن بعض النساء اللاتى كن يعملن مع كاتلار هذا قد قتلن دون أن يستدل على الذى قتلهن ، ولكن أبحاث البوليس أخيرا دلت على أن لكاتلار يدا فى قتلهن

ليبج ــ ٢٨ فبراير سنة ١٩٠٠

جاك اليرمان قتل رميا بالرصاص وهو عائد الى داره من الاوبرا وكان اليرمان فى الواقع شريرا . وبعد القيام بابحاث دقيقة بعد وفاته اتضح لرجال البوليس ان هذا الرجل قد اختلس ما يقرب من ربع مليون فرنك من ودائع الناس

سيتل (ولاية كنتاكى) اكتوبر سنة ١٩٠٠

وجد القاضى اندرسون مخنوقا فى داره ، وقد سبق لهذا القاضى ان حوكم ثلاث مرات بتهمة القتل، فقد كان زعيما لعصابة اندرسون، ولكنه فى كل مرة اطلق سراحه ، لا لانه وجد بريئا ، بل لان الادلة لم تكن كافية لادانته

نيويورك ــ ٤ مارس سنة ١٩٠٢

وجد المسيو جبرييل لانفان وزير المواصلات مقتولا فى مركبته بالرصاص فى غابة بولونيا ، وقد قبض على السائق ، ثم أطلق سراحه وقد اقسم السائق انه لم يسمع طلقا بل لم يسمع صيحة من سيدة وكان المطر منهمرا فى ذلك الوقت ، وكان الناس قليلين فى الغابة

ثم اتت الصحيفة على بقية الجرائم التى ارتكبت ، والاسباب التى وقف عليها البوليس ، وكانت سببا فى ارتكاب هذه الجرائم

وكانت « خبطة » صحفية عظيمة حقا ، كما قال رئيس التحرير وهو جالس فى مكتبه يعيد قراءة القصة المرة بعد الاخرى ويقول :

ــ عظيم .. حقا انها قصة عظيمة !!

وقراها المندوب الصحفى ، الذى كتبها ، ويدعى سميث ، وأحس أن ابواب المجد فى الصحافة قد تفتحت امامه

وقراها وزير الخارجية وهو يشرب شاى الصباح فى فراشه ، ثم قطب جبينه وساءل نفسه « ترى هل قلت اكثر مما ينبغى ؟ »

وقراها مدير البوليس الفرنسى مترجمة فى صحيفة « الطان » وراح يلعن المسئولين الانجليز الثرثارين الذين أفسدوا عليه خططه

أما فى مدريد ، وفى مقهى « كافيه دى لابيه » فقد راح مانفريد يقرأ هذه القصة على زملائه الثلاثة ، وكان أثنان منهم يبتسمون فى سرور . اما الثالث ، فكان الخوف من الموت يطل بوضوح من عينيه

الفصل الثالث

الزملاء المخلصون

كان السير فيليب رامون رجلا ذا مزاج خاص . وكان المعروف عنه انه لا يتراجع عن شيء اذا عقد العزم عليه ولو انقلب العالم راسا على عقب ، كان رجلا قوى الشخصية حازم الرأى ، عريض الفكين ، واسع الفم ، فى عينيه هذا الظل من الزرقة الذى يتميز به السفاكون القساة ، او رجال الحرب المشهورون ، ومع هذا فقد كان السير فيليب يفزع فى قرارة نفسه من نتيجة العمل الذى قرر القيام به

ان فى العالم آلاف الرجال الذين عرفوا كأبطال من الناحية البدنية ولكنهم فى أعماقهم تنقصهم الشجاعة الادبية . انهم يهزءون فى مواجهة الموت ، ولكنهم سرعان ما يضطربون ويفزعون امام انتقاد الرأى العام بل يخافون من الظلمة ، وقد يفزعون من رؤية ثعبان

ولكن وزير الخارجية كان على النقيض من هذا كله ، كان رغم قوة شخصيته ، وعناده واصراره ، وحزم أمره ، جبانا رعديدا يخاف الموت وآلامه الى حد الجنون

وبعد يومين من نشر القصة فى الميجافون ، قال له رئيس الوزراء فى رقة ورفق أثناء انعقاد المجلس :

ــ اذا كان هذا الموضوع ياسير فيليب يسبب لك القلق الشديد، فلماذا لا تسحب مشروع القانون من البرلمان ؟ ان هناك موضوعات أخرى أكثر اهمية سوف تشغل وقت البرلمان ، لا سيما ونحن فى نهاية الدورة

وسرت همهمة الموافقة حول مائدة انعقاد الجلسة ، بينما استطرد رئيس الوزراء فى حديثه قائلا :

ــ ان لدينا كل عذر يبرر سحب مشروع هذا القانون من المجلس فى هذه الدورة على الاقل . فهناك انباء تؤكد بأن بعض الحكومات الفاسدة المستبدة التى ستستفيد من هذا القانون لا تزال تسفك دماء الرعايا بلا محاكمات ، بحجة الرغبة فى توطيـد الامن . ونحن لدينا مشروع قانون « التعطل عن العمل » وينبغى أن يمر فى هـذه الدورة بأية وسيلة ، والله يعلم ماذا يقول الناس عنا بشأنه

وضرب وزير الخارجية المائدة بجمع يده وقال :

ــ لا لا . يجب أن تتم الموافقة على هذا القانون فى هذه الدورة . اننى مصر على هذا ، والا فاننا سنخلف عهدنا مع فرنسا ، ومـع كل شعب من شعوب الكومنولث . لقـد تعهدت بالحصـول على الموافقة البرلمانية على هذا القانون ، ويجب ان نمضى فى طريقنا ولو كان هناك آلاف من « الرجال المنصفين » أو آلاف من رسائل التهديد

وهز رئيس الوزراء كتفيه ، بينما قال بولتون وزير العدل :

ــ معذرة يا رامون اذا قلت انك لم تكن حريصـا فى تصريحاتك المفصلة التى ادليت بها للصحف . نعم اعرف اننا اتفقنا على أن نطلق لك حرية التصرف فى هذا الموضوع كما رغبت ولكننى ، مع هذا ، كنت ارجو ان تكون ، أكثر حرصا فى الادلاء بكل هذه التفصيلات

فقال وزير الخارجية فى جفاء :

ــ ان تصرفاتى فى هذا الامر مسألة لاتهمنى مناقشتها

وبعد انفضاض الجلسة ، قال وزير العدل لزميله وزير الخزانة الشاب وهما يسيران معا فى فناء دار رياسة الوزراء :

ــ ياله من جحش احمق !

وقال وزير الخزانة باسما :

ــ ان أردت الحقيقة ، فان رامون فى مأزق حرج جدا ، فقد اصبحت قصة « المنصفين الاربعة » حديث النوادى والصالونات والحانات ، وقد التقيت بصديق أثناء تناول طعـام الغداء فى فندق كارلتون ، فقال لى ان الامر جد خطير فعلا ، وان هناك مايدعو حقا الى الخوف والفزع ، وكان جادا فى حديثه هـذا ، لانه عاد من فوره من أمريكا الجنوبية وكان قد راى هناك بعض اعمال هؤلاء « الاربعة »

— وماذا رأى ؟

— ثبت لهم أن رئيس احدى جمهوريات هذه القارة اللاتينية كان يضطهد الشعب ويحكمه بالحديد والنار ويرتكب من الفظائع ما جعل كل فرد فى الجمهورية يتلفت حوله خوفا وفزعا ، وقرر هؤلاء الاربعة أن يحاكموه ، ثم أصدروا حكم الاعدام عليه وأبلغوه به ، وفى منتصف ذات ليلة هاجموه فى فراشه ، وكمموه ، وحملوه معصوب العينين الى سجن المدينة حيث علقوه فى المشنقة العامة ، وهربوا

ورأى وزير العدل مايكتنف مثل هذه المغامرة من مصاعب ، وأوشك أن يعرب عن رأيه هذا ، لولا أن وكيل وزارة الخزانة أقبل على وزيره ، وأخذه معه ، تاركا وزير العدل يتمتم لنفسه « عجيب جدا »



وقوبل وزير الخارجية وهو فى طريقه الى دار البرلمان فى مركبته، بعاصفة من الهتاف والتصفيق التى استقبلته بها الجماهير الواقفة على جانبى الطريق ، ولم يشعر هو بالابتهاج لهذه التحية ، لانه أولا، لم يكن من هواة الشهرة ، وثانيا لانه يدرك الروح الشريرة التى تسيطر على الجماهير فى مثل هذه المناسبات ، انها روح تنتشى برؤية عظيم من حكامها وهو يواجه خطرا يهدد حياته . انها تحييه وتشجعه، تماما كما يحيى الجمهور مصارع الثيران المعرض للموت فى اية لحظة

واستقبل بعض أعضاء البرلمان «من الحزب المؤيد» وزير الخارجية بحماس شديد . وكان بعضهم متلهفا ، والبعض الاخر تواقا الى الجديد من الانباء ، وبعض ثالث يخشى مرارة لسان الوزير . وتقدم نائب دائرة برونسبرى وقال له :

— ما هذا الذى نسمعه عن رسائل التهديد ؟ يقينا انه يجدر بك الا تهتم ياسير فيليب بالامر ، فأنا شخصيا أتلقى ثلاث او أربع رسائل من هذا النوع يوميا

بيد أن الوزير مضى فى سبيله متوفزا ، ولكن النائب امسك بذراعه وأردف قائلا :

— اسمع يا . .

ــ اذهب الى الجحيم
وانتزع نفسه من قبضة النائب وسار الى غرفته
وقال النائب لزملائه بعد انصراف الوزير :
ــ انه فى حالة معنوية سيئة . الواقع انه فى مأزق حرج جداً ، ولكنى لو كنت فى موضعه لما اهتممت بالامر ، فاننى شخصيا أتلقى . .
وفى قاعة التدخين بدار البرلمان ، أخذ جماعة من النواب يتناقشون فى موضوع هؤلاء « المنصفين الاربعة » . فقال أحدهم :
ــ هل تعتقدون ان الوزير سيسحب مشروع القانون من المجلس؟
فقال آخر :
ــ رامون ؟ لا . هذا آخر ما يمكن أن يفكر فيه
وقال نائب الدجيت ايست :
ــ ان أمر هؤلاء الاربعة الذين يتحدون بوليس العالم كله لعجيب!
ثم أردف قائلا وهو يشير الى عضو برلمانى عجوز ابيض الشعر واللحية كان يمر بالغرفة محنى القامة :
ــ هذا هو العجوز باسكو ، اننى اذكر فى الايام الخوالى عندما كان هذا العجوز باسكو يزلزل منبر الخطابة ، ان رئيس المجلس تعرض لتهديد مماثل ، ولكن باسكو سخر من الامر ، وكان محقا فى سخريته
وقال أحد المستمعين وهو ينظر الى العجوز باسكو :
ــ يبدو ان صاحبنا باسكو قد ازداد شيخوخة بحيث يحسن أن يتقاعد ويعتزل الشئون السياسية
وقال أحد الاعضاء :
ــ كنت أظن ان العجوز باسكو قد مات
واستطرد نائب الدجيت ايست :
ــ فى العهد الماضى ، عندما اشتدت حركة فنيان . .
وقال أحد الاعضاء :
ــ لو كنت فى موضع السير فيليب ، للجأت الى البوليس وقلت . .
وصلصل الجرس يستدعى الاعضاء الى المجلس ، للموافقة على البند التاسع من قانون « تحسين احوال العمال » . ولما فرغ الجميع من عملية التصويت والموافقة ، عاد المتحدثون الى قاعة التدخين حيث

قال عضو شديد الاعتزاز بنفسه :

ـ كنت اريد ان اقول ، وهذا ما كنت اقوله دائما ، هو ان الرجل السياسى الحق ينبغى أن يسقط من اعتباره كل شىء فى سبيل مشاعره الخاصة

وهنا دخل أحد السعاة حاملا صحفة فضية فوقها مظروف اخضر وقال :

ـ هل سقط هذا المظروف من أحدكم أيها السادة ؟

وتناول نائب الدجيت ايست المظروف وقرا عليه ما يلى :

« الى أعضاء مجلس العموم البريطانى »

واخذ كل عضو من الموجودين يعلق على محتويات الخطاب قبل فضه ، فقال احدهم انه التماس ، وقال آخر انه اقتراح ، واكدثالث انه طلب اعانة أو احسان . واخيرا فتح النائب الخطاب وبدأ يقرؤه ، واذا هو يتوقف وقد اضطرم وجهه بالدهشة . واذا هو يهتفر .

ـ اللعنة على ..

ثم بدأ يقرأ بصوت مرتفع ذلك الخطاب الموجه « الى السادة النواب » « ان الحكومة توشك ان تصدر قانونا من شأنه أن يسلم للحكومات الفاسدة بعض الساسة الوطنيين الشرفاء اللاجئين اليها ، وقد انذرنا الوزير المختص بتقديم مشروع القانون بأنه اذا لم يسحبه قبل الموافقة عليه فسوف نضطر الى ذبحه

« وانه ليؤسفنا اشد الاسف أن نتخذ هذه الخطوة الخطيرة ، لاننا نعلم ان السير فيليب رامون ـ فيما عدا موقفه هذا ـ رجل شجاع امين ونحن لكى نتجنب اتخاذ هذه الخطوة ، نطالب أعضاء البرلمان باستعمال نفوذهم لارغامه على سحب مشروع هذا القانون

« ولو اننا كنا قتلة عاديين أو سفاكين محترفين او فوضويين ، لكان من السهل علينا ان نصب انتقامنا على دار هذا البرلمان بكل من فيه الآن . ولكى نؤكد ان تهديدنا ليس من النوع الاجوف الهازل فاننا نرجوكم البحث تحت المائدة القريبة من مدخل هذه الغرفة التى انتم جالسون فيها الآن وستجدون عندئذ قنبلة تكفى لتدمير هذا المبنى بأكمله ، وليكن معلوما اننا لم نضع فى هذه القنبلة جهازا للتوقيت أو صماما للامن ، ولهذا يجب رفعها بأيدى خبراء فى المفرقعات

« امضاء : الاربعة المنصفون »

وما كاد القارىء يفرغ من تلاوة الرسالة حتى امتقعت وجوه المستمعين جميعا ، وخيم عليهم الصمت الرهيب برهة ، ثم اذا هم يتراجعون خطوة بحركة لا ارادية وهم ينظرون الى المائدة القريبة من مدخل الغرفة

نعم ، لقد كان هناك شيء ، شيء مربع اسود

وتسمر الاعضاء لحظة فى اماكنهم ، ثم اندفعوا يولون الفرار من الغرفة



وسأل رئيس الوزراء خبير المفرقعات الموفد من ادارة اسكتلانديارد

ـ هل الامر مجرد دعابة كاذبة ؟

ـ كلا . كانت قنبلة خطيرة جدا كما جاء فى الرسالة ، ولو كان بها جهاز للتوقيت لانفجرت فى الوقت المحدد !

ـ اذن فهى حقا .. ؟

ـ كانت تكفى لتدمير دار البرلمان كله يا سيدى .

ونظر رئيس الوزراء بوجه كله القلق الى الشرفة الكبيرة التى وقف فيها اعضاء البرلمان وبعض كبار الساسة يتحدثون ويلوحون بأيديهم فى اهتياج وانفعال ، ثم تمتم لنفسه قائلا :

ـ هذا أمر خطير ، خطير جدا !

ثم أردف بصوت مسموع قائلا لمفتش اسكتلانديارد :

ـ لقد قلنا الشيء الكثير عن هذا الامر ، ويحسن أن ندلى لرجال الصحف بما ينبغى الادلاء به من أحداث هذا اليوم، ويمكنكم تسليمهم نسخة من الرسالة

ثم ضغط على زر جرس أمامه ، فأقبل سكرتيره بهدوء ، فقال له:

ـ اكتب الى حكمدار البوليس أمرا بمنح جائزة مقدارها الف جنيه لمن يقبض على الشخص او الاشخاص الذين وضعوا هذه القنبلة فى دار البرلمان ، أو على اى شركاء لهم ، وليكن واضحا فى الاعلان عن المكافاة ان اى شريك لهؤلاء الرجال الخطرين يتقدم للارشاد عنهم ، سيكون من حقه الحصول على المكافاة مع ضمان عدم تقديمه للمحاكمة .. اى سيحصل على المكافاة مع العفو الشامل

وبعد انصراف السكرتير ، قال الرئيس لمفتش اسكتلانديارد :

ـ هل عرفتم كيف استطاع هؤلاء الخطرون وضع القنبلة فى ذلك المكان ؟

ـ لا ياسيدى . فرغم جميع التحريات التى قمنا بها مع الحراس فانهم جميعا اكدوا انهم لم يروا شخصا غريبا يدخل البرلمان أو يخرج منه

فلوى رئيس الوزراء شفتيه اندهاشا ثم قال باقتضاب :

ـ شكرا

وانصرف مفتش اسكتلانديارد الخبير بالمفرقعات

وعلى شرفة البرلمان كان الاعضاء واقفين فى حلقات يتحدثون فى انفعال شديد عن ذلك الحادث الخطير الذى يعتبر الاول من نوعه فى تاريخ الحياة البرلمانية . وكان نائب دائرة الدجيتايست يتوسط حلقة من زملائه ، ويتحدث فى زهو عن « دوره » الخطير فى ذلك الحادث ، كيف انه كان أول من تناول ذلك الخطاب ، وكيف انه كان فى تلك اللحظة يتحدث عن واجبات الرجل السياسى

وقال نائب آخر :

ـ لقد كنت أقرب الحاضرين الى مكان القنبلة . انى لاحس بالرعدة تسرى فى أوصالى كلما تذكرت انى كنت قريبا من الموت الى هذا الحد !!



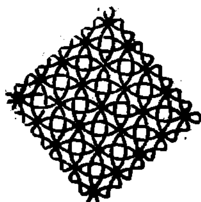
شغلت المقاعد الثلاثة المتجاورة المحجوزة فى قاعة ستار الموسيقية بشارع اكسفورد ، الواحد بعد الآخر . فالمقعد الاول شغله مانفريد ـ وكان مرتديا ملابس السهرة ، فى تمام الساعة السابعة والنصف . وبعد نصف ساعة وصل الى المقعد الثانى بواكارت فى ملابس رجل الاعمال الموفور الثراء . وفى الثامنة والنصف ، اقبل جونزاليز وسأل بلغة انجليزية متقنة عن برنامج الحفلة ، ثم جلس على المقعد الاوسط

ولما تعالى الهتاف والتصفيق اعجابا بأنشودة وطنية ، قال مانفريد وهو يلتفت الى جونزاليز :

ـ لقد قرات الحادث فى صحف المساء

واوما جونزاليز براسه ثم قال بهدوء :

ـ نعم . ولكن الامر لم يخل من مخاطرة . فقد اشار احدهم على وقال : « عجبا ظننت ان باسكو العجوز قد مات » . بل ان عضوا آخر كاد ان يقترب منى ويتبادل الحديث معى !



الفصل الرابع

جائزة الألف جنيه

ليس من المبالغة فى شيء اذا قلنا أن قنبلة « المنصفين الاربعة » فى دار البرلمان أثارت ضجة عظيمة فى الاوساط الاجتماعية فى انجلترا كلها ، واقامت الرأى العام واقعدته من فرط الاثارة والانفعال

كانت التعليقات الاولى عن قصة « الاربعة المنصفين » التى نشرتها صحيفة الميجافون ، تختلف باختلاف أمزجة القراء ، فكان منهم المكذب لها ، ومنهم الساخر منها ، ومنهم المصدق ، أو المرتاب . اما بعد حادث القنبلة ، ووجودها فى عقر مجلس العموم المنيع الزاخر بالحراس ، فقد ادرك الجميع أن عاصمة بلادهم « المنيعة » قد أصبحت فى يوم وليلة مسرحا لاخطر جماعة من الارهابيين العالميين سواء كانوا منصفين أو ظالمين

وبطبيعة الحال لم يعد للناس جميعا ، على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ، حديث الا عن هؤلاء « الاربعة » المجهولين الذين يقبضون ـ كما بدا بوضوح ـ على مصائر الناس بقوة وعنف

على أن الجمهور ، رغم ما اعتراه من فزع ، كان يدرك تمام الادراك أن هؤلاء الاربعة لا يقصدون بالشر الا رجلا واحدا

لقد أصبح فى قلب مدينة لندن ، رعب خفى ، فلا عجب اذ كان كل امرىء يرتاب فى كل واحد يمر به على أنه قد يكون أحد « هؤلاء الاربعة »

واطلت لوحات الاعلانات البوليسية المتناثرة فى انحاء المدينة على الجميع فى صباح اليوم التالى بهذا الاعلان :

« الف جنيه جائزة »

وتحت هذا العنوان ، جاء ما يلى :

« فى نحو الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر اغسطس الحالى ، وضع رجل أو رجال مجهولون قنبلة خطيرة تحت منضدة فى قاعة التدخين بدار البرلمان

« ولما كان هناك من الاسباب ما يحمل على الاعتقاد أن هذا الرجل او الرجال المجهولين الذين وضعوا القنبلة هم من جماعة الارهابيين الذين عرفوا باسم « الاربعة المنصفين » ، والذين صدر الامر بالقبض عليهم فى باريس ونيويورك ومدريد ونيو أورليانز وبرشلونة وتومسك وبلجراد ، وكيبتون ، وكاراكاس وغيرها ، فان الجائزة المذكورة اعلاه ستقدمها حكومة جلالة الملك لكل شخص أو اشخاص يدلون بمعلومات من شانها القبض على واحد او اكثر من هؤلاء الذين يسمون انفسهم « الاربعة المنصفين »

« وفضلا عن ذلك ، فان الحكومة تتعهد بالعفو الشامل ومنح الجائزة لاى فرد من هؤلاء الارهابيين يتقدم بمعلومات تؤدى الى القبض على الآخرين ، اذا ثبت أنه لم يرتكب أو لم يشترك معهم فى ارتكاب الجرائم الوارد ذكرها فيما يلى : »

واعقب امضاء كل من وزير الداخلية وحكمدار بوليس المدينة قائمة « بأحكام الاعدام » التى نفذها « المنصفون الاربعة » فى مختلف عواصم العالم



واخذ الناس طيلة ذلك اليوم يتجمهرون حول هذه اللوحات الاعلانية ، ويتبادلون التعليقات المختلفة عن هؤلاء «الاربعة المنصفين» الذين لا يعرف احد عنهم شيئا غير « أحكامهم » . فلا صور لهم منشورة ، ولا أوصاف عنهم معروفة ، ولا شيء اطلاقا ينم على شخصياتهم او حتى جنسياتهم

كان المطلوب من الجمهور معاونة البوليس ، بالبحث عن اربعة رجال لم يرهم انسان ، ومطاردة اشباح فى الظلام

وفى هذا الشأن قال احد كبار رجال المباحث الجنائية المفتش فالموث ، وهو رجل معروف بصراحته العظيمة : قال لمساعد حكمدار اسكتلانديارد :

— انك لاتستطيع ان تقبض على رجال ليس لديك اية فكرة

عنهم ، فلربما يكونوا نساء لا رجالا ، أو أنهم قد يكونوا زنوجا او صينيين أو يابانيين ! قد يكونون قصار القامة او طوالها ! واكثر من هذا اننا لا نعرف جنسياتهم ، وهم يمارسون نشاطهم فى كل دولة من دول العالم تقريبا . انهم ليسوا فرنسيين لانهم قتلوا رجلا فى باريس ، وليسوا امريكيين لانهم قتلوا القاضى اندرسون هناك

فقال مساعد الحكمدار وهو يفحص رسائلهم التهديدية :

ـ والخط ؟

ـ ان الخط يدل على انهم من الجنسية اللاتينية ، ولكن قد يكون هذا خدعة منهم . وعلى اية حال فليس هناك فوارق ملموسة بين خطوط الفرنسيين والاسبانيين والبرتغاليين ، والايطاليين ، أو سكان أمريكا الجنوبية

فسأله مساعد الحكمدار :

ـ وماذا فعلت ؟

ـ احطت بتحرياتى جميع المشتبه فى أمرهم ، وقمت بحملات تفتيشية دقيقة على احياء « ليتل ايتالى » وسوهو وبلومسبرى وفتشنا الليلة الماضية حى تانهيد الذى يقيم فيه عدد كبير من لاجئى أمريكا الجنوبية ، ولكن . .

وعادت الكآبة الى وجه المفتش فالموث وهو يستطرد قائلا :

ـ ولكن من يدرى انهم لايقيمون الآن فى احد الفنادق الفاخرة ، هذا اذا كانوا اغبياء بحيث يقيمون معا فى مكان واحد . ولكن من المؤكد انهم يعيشون متفرقين ، ثم يجتمعون فى مكان ما مرة أو مرتين فى اليوم

وتوقف عن الحديث برهة ، ثم راح ينقر باصبعه فى ذهول على سطح المكتب الكبير الذى يجلس اليه مساعد الحكمدار ، ثم قال :

ـ لقد ارسلت دى كورفيل التفتيش حى سوهو ، وقد اتصل هو بأحد مرشديه المقيمين دائما بهذا الحى ، وهو على استعداد لان يقسم بأنه ليس فيه واحد من هؤلاء الاربعة الشياطين ، وانا مستعد لتصديق كلمته

وهز مساعد الحكمدار راسه وقال :

ـ ان أصحابنا فى داوننج ستريت فى حالة هياج شديد .

ـ نهم لا يعرفون على وجه اليقين ماذا سيحدث بعد ذلك !
ونهض فالموث ورفع يده بالتحية وقال وهو يهم بالانصراف :
ـ ان أمامنا فترة عصيبة . ارجو ان تمر بسلام
وقال مساعد الحكمدار :
ـ وما رأى الناس فى هذا الموضوع ؟
ـ هل قرات الصحف ؟
فهز مساعد الحكمدار كتفيه ، وقال :
ـ الصحف ؟ من ذا الذى يستطيع أن يعتمد على ماينشر فى الصحف ؟
فقال المفتش بهدوء :
ـ انا احدهم ! ان الصحف هى مرآة الرأى العام . والصحيفة الناجحة هى التى تعبر عن راى رجل الشارع ، وتجعله يقول لنفسه وهو يقرؤها « هذا هو رأيى تماما فى الموضوع ، بل ان هذا ماقلته على الدوام »
ـ ولكن الناس انفسهم ؟ الم تتح لك الفرصة لتتعرف على آراء بعضهم ؟
فأومأ المفتش فالموث براسه وقال :
ـ كنت فى هذا المساء بالذات اتحدث مع رجل فى حديقة هايدبارك وكان يبدو عليه أنه ميسور الحال ، موفور الذكاء ، فسألته عن رأيه فى هؤلاء « المنصفين الاربعة » فقال ان الامر فى رأيه لا يعدو ان يكون حادثا مبالغا فيه ، تقوم به جماعة من هواة المغامرة واثارة الاضطرابات فى الرأى العام . ولعل هذا الرجل يعبر عن آراء الناس فى هذا الموضوع
ولكن بقدر ما كان الحزن مخيما على ادارة اسكتلانديارد ، كان الاهتياج السار منتشرا فى شارع الصحافة « فليت ستريت » . فهاهنا حقا أحداث مثيرة وانباء خطيرة تستحق أن تنشر على أكثر من عمود ، وبخطوط ضخمة جذابة للانظار . وهى بلا ريب سترفع من توزيع الصحف اضعافا مضاعفة ، وستجعل انباء « الاربعة المنصفين » حديث كل انسان
وفى هذا السبيل تساءلت صحيفة الكوميت :

« هل هى جمعية اليد السوداء »

ثم كتبت مقالا تحاول فيه اقامة الدليل على هذا الفرض

ورات « الايفننج ورلد » أن جمعية « اخوان كورسيكا » وراء هذه الاحداث كلها

وتمسكت صحيفة الميجافون بقصتها عن « الاربعة المنصفين » ، ومن ثم راحت تنفض الغبار عن السجلات القديمة « للاحكام » التى نفذها هؤلاء الاربعة ، واخذت توالى نشر المزيد من التفاصيل عن حياة « الضحايا » وعن الاسباب الخفية التى ادت الى اصـــدار الاحكام عليهم من محكمة « الاربعة المنصفين »

وانطلقت فى مختلف طبقات المجتمع الوان عجيبــة من النوادر والفكاهات عن هؤلاء الارهابيين المجهولين ، واخذت بعض النوادى والملاهى الليلية تردد الاغانى الضاحكة عنهم ، وبدأ كل واحد يحاول أن يعرب عن « أهميته » بالحديث الشخصى عن « الاربعة المنصفين » فيقول مثلا :

ـ عندما كنت فى ايطاليا فى صيف العام الماضى سمعت ..

وآخر يقول :

ـ بل أنا رايت ..

وثالث يقول :

ـ وانا فى اسبانيا قمت بمغامرة مع واحد اكد لى انه على اتصال بجمعية ارهابية هدفها نشر العدالة فى العالم

واصبحت الامهات فى الطبقات الشعبية يرجعن كل فســـاد فى أخلاق ابنائهن الى « هذه الاخبار الفظيعة التى لا تكف الصحف والمجلات عن نشرها »

أما السير فيليب رامون ، وهو الشخص الذى ثارت الزوبعة حوله ، فكان يبدو أمام الجمهور كأنه آخر من يهتم بهذه الاحداث

لقد رفض أن يدلى بأى حديث آخر الى الصحف ، واعرب عن عدم رغبته فى مناقشة هذا الموضـــوع ، حتى مع رئيس الوزراء ، وقد كتب فى الصحف رجاء خاصا الى جميع الذين يراسلونه فى هذا الشأن ، يطلب منهم أن يكفوا عن مراسلته لانه سوف يضـــطر فى

النهاية الى جعل سلة المهملات مصير كل رسالة تدور حول هـذا الموضوع

وقد خطر له أن يعلن فى الصحف ايضا انه لن يتراجع عن عـرض مشروع القانون على اعضاء البرلمان فى دورته الحالية ، ايا كان الموقف وايا كانت الظروف ، ولكنه خشي أن يقال عنه أنه يستعرض شجاعته بطريقة مسرحية مؤثرة

وكان السير فيليب رامون كريما الى حد كبير فى معاملته مع المفتش فالموث الذى عهد اليه باتخاذ جميع الاجراءات لحماية الوزير من الخطر الذى يهدده ، والمفتش وحده ، بحكم صـلاته بالوزير ، هو الذى استطاع ان يدرك مدى حالة الفزع الحقيقى الذى يعيش فيها

لقد كان الوزير يسأله اكثر من عشر مرات فى اليوم الواحد :

ـ اتعتقد حقا أننى معرض لخطر شديد يا فالموث ؟

وكانت اجابات هذا تؤكد كلها بأن الخطر ليس كما يتصوره الناس وان الصحف بالغت فى الامر كثيرا ، وأن الطاقة البشرية لها حدودها وانه لايمكن لاية جماعة ارهابية ان تقتل شخصا معينا تتوافر له كل هذه الحراسة

وكان المفتش فى قرارة نفسـه يدرك انه يبالغ فى بث الاطمئنان فى نفس الوزير ، وكثيرا ما كان يبرر هذا السلوك لنفسـه بقوله :

ـ ما جدوى اثارة المخاوف فى نفسـه ؟ ان النتيجة احد امرين : فاما ان يخرج من هـذه الاحداث سليما ، فيعرف انى صادق فى تهدئة مخاوفه ، اما اذا كان الامر الاخر ، فلن يكون هناك مجال لاتهامى بالكذب !

وكان السـير فيليب رغم ذكائه والمعيته وفطنته ، قد لاحظ نظرات مفتش البوليس الموجهة اليه وفيها اكثر من فحص وتدقيق ، فقال له يوما :

ـ لعلك تعجب لماذا اصر على اصدار هذا القانون رغم ادراكى للخطر الذى يتهددنى . ولعلك ستدهش اذا قلت لك انى لا اعرف هذا الخطر ، بل ولا اتصوره ! اننى شخصيا لم اشـعر ابدا بآلام بدنية طيلة حياتى . ورغم اننى اعانى من هبوط فى القلب ، الا اننى لم اشعر يوما بأى نوع من الوجع او الالم البدنى . وانا لااعرف طبعا

ماهى آلام الموت ، او ماهو الموت نفسه ، او ماذا سيكون مصيرى بعد الموت . كل ما اعرفـه ان الخوف من الموت يرجع الى جهلنا بما وراءه . وانا شخصيا لا اجد سببا واحدا يدل على ان ما وراء الموت اسوأ مما نحن فيه ، ولهـذا السبب فانى لا اخاف الموت نفسه ، وانما اخاف آلامه .

فقال المفتش مغمغما وهو لا يدرى الفارق بين الموت وآلامه :

ـ تماما يا سيدى .. تماما !

واستطرد الوزير الذى كان جالسا فى غرفة مكتبه بقصره المسمى بورتلاند بالاس :

ـ ولكن اذا كنت لا اتصور على وجـه التحديد كيفيـة انتقال الانسان من حياة الى حياة ، الا اننى اعرف على وجه اليقين النتائج المترتبة على نكوص رجل الحكم عن واجباته خوفا من اخطار قـد تكون فى النهاية وهمية او لا قيمة لها

وقال المفتش فالموث وهو يشعر فى اعماق نفسه بالسأم من هذا الحديث :

ـ لقد اتخذنا يا سيدى جميع الاحتياطات اللازمة لحمايتك . ونحن نرجو الا يضـيرك ان يتبعك بعض رجالى مدة اسـبوع او اسبوعين . كما ارجو ان تسمح لثلاثة او اربعة من ضباط المباحث بالاقامة فى هذا القصر طالما انت فيه . اما وزارة الخارجية فان فيها من رجال البوليس والمخابرات مايكفى لحراسة مدينة كاملة

واعرب السير فيليب عن رضائه وموافقته على هذه الاجراءات . ولما استقل مركبته الخاصة مع المفتش فى الطريق الى دار البرلمان ، ادرك السبب فى هذا الموكب من الحراس راكبى الدراجات البخارية الذين كانوا يحفون بالمركبة على طول الطريق ، ومن ورائه تتبعه مركبتان

وفى الوقت المحدد بعد ان تم انعقاد الجلسة البرلمانية ، وقف السير فيليب واعلن ان القراءة الثانية لقانون «اللاجئين السياسيين» سوف تتم فى يوم الثلاثاء من الاسبوع التالى . اى بعد عشرة ايام على وجه التحديد

وجلس الوزير بين عاصفة مدوية من الهتاف والتصفيق

فى مساء اليوم نفسه ، التقى مانفريد بجونزاليز فى مكان حول منصة الموسيقى بحدائق نورث تاور . وبينما كانت الفرقة الموسيقية تعزف افتتاحية « فانهوزر » ، قال مانفريد لصاحبه :

ـ ماذا عن تيرى ؟

ـ انه مع بواكلوت هذا اليوم ، وهو يفرجه على معالم المدينة

وضحك الاثنان

وسأل جونزاليز :

ـ وانت ؟

فضحك مانفريد مرة اخرى وقال :

ـ لقد امضيت يوما طيبا . والعجيب اننى التقيت بأحد رجال المباحث الجنائية فى حديقة هايدبارك ، وسألنى عن رأيى فى هؤلاء « المنصفين الاربعة » اى عن انفسنا

واومأ جونزاليز برأسه ، ثم قال بهدوء :

ـ هل نحن مستعدون ؟

وتوقفت عندئذ الفرقة الموسيقية ، فاشترك الاثنان فى التصفيق تحية لها ، بينما قال مانفريد :

ـ وجدت المكان المناسب ، ويحسن أن نتجمع معا فيه

ـ وهل هو مزود بكل شىء ؟

فغمز مانفريد بعينه لصاحبه وقال :

ـ كل شىء تقريبا

وبعد برهة من الصمت ، قال جونزاليز :

ـ وماذا قلت لصاحبك ضابط المباحث فى الحديقة ؟

ومرة اخرى ضحك مانفريد وقال :

ـ قلت له اننى شخصيا أعتقد انه لا وجود لهؤلاء « الاربعة المنصفين » الا فى مخيلات رجال الصحف الذين يستهدفون الاثارة والضجيج

وهنا اخذت الفرقة الموسيقية تعزف النشيد الوطنى ، فوقف الاثنان واشتركا مع الجمهور فى ترديد النشيد مع رفع القبعات عن الرءوس

وفيما هما ينصرفان ، قال جونزاليز فى تساؤل :

ـ لن تنفذ الحكم بتلك الطريقة هذه المرة ؟

فأجاب مانفريد مؤكدا :

ـ لا ! ليس بهذه الطريقة قطعا !



الفصل الخامس

الترتيبات

عندما نشر الاعلان التالي فى صحيفة « النيوزبروبريتور » :

« للبيع : مؤسسة زنكغراف قديمة التأسيس مع مصنع جديد وكمية كبيرة من المواد الكيميائية »

قال كل واحد من المشتغلين فى ميدان الطباعة والحفر ان هذه المؤسسة المعلن عنها هى مؤسسة زنكغراف « اثيرنجتون » . وكانت تلك المؤسسة عبارة عن آلات للحفر ، ومناشير كهربائية ، وخراطات ، ومصابيح كهربائية ضخمة ومواد كيميائية مختلفة

وجميع المشتغلين فى ميدان الطباعة والحفر الزنكغرافى كانوا يعلمون أن مؤسسة « اثيرنجتون » من أسوأ المؤسسات فى هذا الميدان . فرغم أن صورها الزنكغرافية كانت أقل جودة واتقانا من غيرها ، الا أنها كانت أغلى ثمنا

ورغم أن المؤسسة ظلت معروضة للبيع مدة ثلاثة أشهر ، الا أنها لم تجد احدا يتقدم لشرائها ، لانها اولا بعيدة عن شارع الصحافة اذ كانت تقع فى شارع كارنابى ، ولانها ثانيا ذات آلات وأدوات قديمة مستهلكة

وعلم مانفريد عند مقابلته للحارس على شئون المؤسسة أنها معروضة للبيع أو الايجار أيضا اذا أمكن ، وان تسليمها سيتم فورا للمشترى أو للمستأجر ، وان فى بناية المؤسسة ، بالطابق الاعلى ، مساكن لاقامة المشتغلين فيها ، أو المشرفين عليها . وان كل المطلوب من المستأجر شهادة ضمان من أحد المصارف المالية

وقال الحارس أثناء اجتماعه بالدائنين ذات يوم بعد مقابلة مانفريد له :

ـ يبدو انه متفائل اكثر مما ينبغي . يعتقد انه سيجمع من هذه المؤسسة ثروة ضخمة بحفر وطبع نسخ من صور موريللو وبيعها باسعار مناسبة . وقد اخبرني انه سيؤلف شركة توصية محدودة لاستغلال هذا المشروع ، وانه بمجرد الاتفاق مع الشركاء سيعود لشراء المؤسسة بكاملها

وهذا ماحدث في اليوم نفسه ، فقد ذهب كل من توماس براون التاجر ، وارثر نايت ، وجيمس سلكيرك الفنان ، واندرو كوهين رجل الاموال ، وسجلوا اسماءهم في بورصة الاوراق المالية على انهم اصحاب شركة توصية محدودة لشراء واستغلال مؤسسة زنكغراف اثيرنجتون ، وانهم تقاسموا فيما بينهم جميع أسهم هذه الشركة كما هو مدون في عقد التأسيس

وقبل عرض مشروع قانون « اللاجئين السياسيين » للقراءة الثانية على البرلمان بخمسة أيام ، استلم الشركاء المؤسسة للعمل بها والاقامة بالمساكن الملحقة بالطابق العلوي منها

وقال مانفريد لزملائه بعد ان استقر بهم الحال فيها :

ـ لقد عرفت منذ أعوام عديدة عندما جئت الى انجلترا لاول مرة ، أن ايسر وسيلة لاخفاء شخصية انسان هي شخصية التنكر في شخصية رجل من رجال الاعمال الكبار

وعلق جونزاليز على مدخل المؤسسة اعلانا كبيرا فاخرا يقول فيه ان « مؤسسة «الفن الجميل» سوف تبدأ في انتاج اعمالها ابتداء من أول شهر اكتوبر » وتحت هذا الاعلان لافتة كتب عليها « لاتوجد وظائف خالية » . وبجانبها لافتة اخرى تقول « جميع المقابلات يجب أن تتم بمواعيد محددة ، وجميع المراسلات ترسل الى المدير العام »

وكان للمؤسسة واجهة قديمة عادية ، ولها « بدروم » زاخر بالوان وصنوف من آلات واجهزة الزنكغراف . وكان الطابق الارضى مستعملا كمكاتب للموظفين والاداريين ، وكان يحتوى على أثاثات قديمة ، وتدور حول جدرانه خزانات خشبية ذات طاقات صغيرة مفتوحة ممتلئة بالسجلات والواح الحفر وما الى ذلك

وكان الطابق الثاني مخصصا للاعمال الفنية أي « المصنع » .

أما الثالث فكان أهمها جميعاً ، اذ امتلأ بآلات التصوير الضخمة ، ومصابيح الاضاءة القوية ، وتقع فى الناحية الخلفية من هذا الطابق ، الغرف الثلاث المخصصة للسكنى

وفى احدى هذه الغرف ، بعد يومين من استلام المؤسسة ، جلس الرجال الاربعة « المنصفون »

وكان الخريف قد حل مبكرا فى تلك السنة ، فأخذت الرياح الباردة تضرب بالامطار مصاريع النوافذ من الخارج ، بينما كانت نيران المدفأة فى الداخل تتوهج وتملأ الغرفة بالدفء الممتع

هذه الغرفة فقط هى التى تم تنظيفها واعدادها بأثاثات جديدة ، وكانت المائدة المستديرة فى وسطها تحمل بقايا طعام فاخر لوجبة الغداء

وجلس جونزاليز يقرأ كتابا أحمر الغلاف ، ولاننسى القول انه كان يستعين على القراءة بنظارة ذات اطار ذهبى ، وجلس بواكارت يرسم لوحة تخطيطية على جانب من المائدة ، وراح مانفريد يدخن سيجارا ويدرس قائمة أسعار المواد الكيميائية لاحدى الشركات . أما تيرى أو سيمونت كما يدعوه بعضهم ، فقد كان الوحيد الجالس لايفعل شيئا ، وانما اكتفى بالبقاء مكوما على نفسه امام المدفأة ، يحملق فى ألسنة اللهب المتراقصة ، ويلوى أصابعه فى توفز عصبى واضح

وكان الحديث يدور بينهم متقطعا كما هو الشأن بين رجال مشغولى الفكر بموضوعات مختلفة . وفجأة استدار تيرى نحو زملائه الثلاثة وقال بعصبية :

– الى متى سابقى سجينا هنا ؟

ورفع بواكارت رأسه وقال بالانجليزية :

– هذه هى المرة الثالثة التى يلقى فيها هذا السؤال علينا

وصاح تيرى فى اهتياج :

– تحدثوا بالاسبانية . لقد ضاق صدرى من حديثكم بهذه اللغة الجديدة التى لا أفهم منها كلمة ، كما لا افهمكم

فقال مانفريد بالاسبانية :

– لسوف تبقى معنا حتى نفرغ من مهمتنا . ولقد ذكرنا لك

هذا مرات عديدة

ودمدم تيرى غاضبا ، وعاد واستدار بوجهه الى المدفاة وهو يقول فى تململ :

ـ لقد سئمت هذه الحياة . اننى أريد أن اتمشى فى انحاء المدينة بلا حارس . بل أريد ان أعود الى مدينتى جيريز حيث كنت أعيش حرا . اننى نادم على مجيئى

فقال مانفريد :

ـ وانا ايضا نادم . ولكن ندمى ليس شديدا على كل حال . وانا أرجو الا يشتد ندمى لصالحك !

فانفجر تيرى قائلا بعد برهة صمت :

ـ ومن انت ؟ بل من انتم جميعا ؟ لماذا تريدون أن تقتلوا ؟ هل انتم ارهابيون ؟ ماهو المبلغ الضخم الذى ستظفرون به من وراء هذه المهمة ؟ اريد ان أعرف !

ولم يرتسم على وجه واحد من الرجال الثلاثة اى طيف من الاستياء أو الضيق . وكل ماحدث ان جونزاليز بوجهه الحليق المستطيل راح ينظر فى ابتسام الى تيرى بعينيه الزرقاوين ، ثم قال بلهجة الاستاذ المتخصص فى دراسة الشخصيات الاجرامية :

ـ عظيم . عظيم . أنك تبدو بأنفك المدبب ، وجبينك الضيق . .

وقبل أن يستطرد فى رسم صورة لوجه « الرجل الغاضب » وثب تيرى واقفا فى ضيق شديد وهتف قائلا :

ـ من انتم ؟ ومن أين لى ان اعلم انكم لن تظفروا بأموال طائلة من وراء هذه العملية ؟ أريد أن أعرف لماذا تحتفظون بى هنا ؟ لماذا لاتسمحون لى بالاطلاع على الصحف ؟ لماذا لاتدعوننى اتمشى بلا حراسة من أحدكم ، أو اتحدث مع أحد يعرف لغتى الاسبانية ؟ انكم لستم اسبانيين وانتم تريدون أن تقتلوا شخصا ما ، ولكننى لم أعرف بعد الطريقة التى ستتبعونها فى تنفيذ القتل ؟

ونهض مانفريد ووضع يده على كتف تيرى وقال بصوت ينم على العطف :

ـ تمالك نفسك ، وتذرع بالصبر أيها السيد ، ارجوك . ومرة اخرى أؤكد لك اننا لانقتل من اجل منفعة مادية . ان كلا من زميلى

هذين يمتلك ثروة تقدر بملايين الجنيهات ، وانا أوفر منهما ثراء . إننا نقتل ، وسوف نستمر فى القتل ، لان كلا منا عانى الشىء الكثير من المظالم التى عجز القانون عن علاجها . أما اذا نحن ..

ثم تردد برهة قبل أن يردف قائلا :

ـ أما اذا نحن قتلناك ، فسوف يكون ذلك أول سابقة فى عملنا

فوثب تيرى منتصبا ، وكشر عن أنيابه كذئب فى مأزق ، ثم هتف بصوت كالفحيح :

ـ انا ! انا ؟ اقتل ؟

ولم يتحرك أحد من الرجال الثلاثة الا مانفريد فقد أعاد يده الى جانبه وقال وهو يومىء برأسه :

ـ نعم انت ! ان قتلناك ستكون السابقة الاولى من نوعها فى عملنا ، لاننا لم نقتل الا لتحقيق العدالة . أما قتلك فسوف لايتفق مع العدالة

وهنا قال بواكارت وهو ينظر فى رثاء الى تيرى :

ـ وهذا هو سر اختيارنا لك . لاننا نخشى دائما من أن نخذل ونخدع ، وقد قررنا انك أفضل من غيرك فى هذه الناحية

واستطرد مانفريد قائلا :

ـ عليك أن تفهم تماما أننا لن نمس شعرة من رأسك بسوء طالما بقيت مخلصا لنا . بل سوف نعطيك بعد الفراغ من هذه المهمة مبلغا كبيرا من المال يتيح لك رغد الحياة .. مع فتاتك فى جيريز

وعاد تيرى فجلس وهو يهز كتفيه هزة عدم الاكتراث ، ولكن يديه كانتا ترتعدان بقوة وهو يشعل لنفسه سيجارة . قال مانفريد :

ـ لسوف نخفف الحراسة عليك بعض الشىء . سنسمح لك بالخروج كل يوم . وبعد أيام قليلة سنعود الى اسبانيا . لقد كانوا يسمونك فى سجن غرناطة « الرجل الاخرس » . ونحن نريد منك أن تبقى هكذا حتى نفرغ من هذه المهمة

وبعد هذه المحادثة ، عاد الرجال الثلاثة الى الحديث باللغة الانجليزية التى لم يكن تيرى يفهم منها حرفا

وقال جونزاليز :

ـ انه لايسبب لنا قلقا كبيرا . فبعد أن ألبسناه ثيابا انجليزية لم يعد يلفت انظار احد . وهو لايحب حلاقة ذقنه كل يوم . ولكن هذا امر ضروري ، ومن حسن الحظ انه اشقر . وانا لا أسمح له بالحديث مع احد فى الطريق ، وهذا مما يسبب له الضيق

وحول مانفريد مجرى الحديث الى ماهو اهم ، فقال :

ـ لسوف ارسل انذارين آخرين ، ويجب أن يسلم احدهما باليد فى عقر مخبئه . انه رجل شجاع جدا

وسأل بواكارت قائلا :

ـ وماذا عن جارسيا ؟

وضحك مانفريد وهو يقول :

ـ رايته فى مساء يوم الاحد . انه رجل عجوز لطيف شديد الحماس ، بليغ الخطابة . لقد جلست فى نهاية قاعة للخطابة اسمعه وهو يخطب بالفرنسية عن حقوق الانسان . لقد كان فى خطابته صورة جميلة لجان جاك روسو وميرابو فى وقت واحد

فقال بواكارت :

ـ يكفى أن بين يدى هذا الرجل مصير شعب بأكمله ، فاما ان يحقق له العدالة الاجتماعية ويقضى على حكومات الفساد والاستبداد ، واما أن يموت فى المعركة

وفى خلال هذا الحديث ، كان تيرى يدخن السجائر الواحدة بعد الاخرى ، ولايكف عن النظر الى نيران المدفأة

وعاد جونزاليز يقول :

ـ لنعد الى الحديث عن المهمة التى بين ايدينا الآن . فانا اعتقد انه ليس هناك مايمكن ان نفعله اكثر مما فعلنا حتى ... اليوم المحدد !

ـ نعم . لاشيء

ـ وبعد ذلك ؟

ـ سنصدر اربع لوحات لنسخ الصور الفنية الملونة

ـ ثم بعد ذلك ؟

ـ هناك مهمتنا فى هولندا ! ان هيرمانيوس فان ديربيل قد تجاوز حدوده فى الطغيان والظلم . ولكن الامر معه سيكون سهلا . فاننا

لن نحتاج الى انذاره

فقال بواكارت جادا :

ـ انني سعيد بما سنوقعه على فان ديربيل من عقاب . وكان ينبغي ان نعالج أمره من قبل

ـ نعم . ولكن الوقت لم يكن فى جانبنا

ـ وماذا عن تيرى ؟

فقال جونزاليز ببساطة :

ـ لسوف أعالج أمره . سوف أمضى به الى أسبانيا .. الى جيريز حيث تقيم فتاته

ثم اردف ضاحكا مرددا قوله :

ـ الى فتاته فى مدينة جيريز

وفرغ تيرى ـ موضوع حديثهم ـ من تدخين سيجارته العاشرة ، ثم انتصب جالسا فى مقعده وهو يدمدم بكلمات غامضة

وعاد جونزاليز الى الحديث قائلا :

ـ نسيت ان اخبركم أن تيرى كان شديد الفضول ، ونحن نسير معا فى شوارع المدينة ، لمعرفة ماتحتويه الاعلانات البوليسية التى تملأ أفاريز الشوارع بأنحاء المدينة ، وكان يريد ان يعرف سر تجمع الناس على قراءة هذه الاعلانات . وقد اضطررت الى الكذب عليه ، رغم كراهيتى للكذب ، فقلت له ان هذه الاعلانات تحمل آخر أنباء سباق الخيل والمضاربات عليه . وقد بدا لى أنه اقتنع

وسمع تيرى اسمه فى ثنايا الحديث ، فالتفت الى الرجال الثلاثة متسائلا ، ولكن مانفريد نهض قائلا :

ـ لسوف نترك صاحبنا بين يديك لتسليته والترفيه عنه . أما أنا وبواكارت فسوف نمضى لاجراء بعض التجارب الكيميائية اللازمة

وانصرف الاثنان من الغرفة ، وعبرا ممرا ضيقا ، وتوقفا أمام باب صغير فى نهايته ، وكان ثمة باب أكبر على اليمين ، مغلق بقفل فوق قضيب من حديد . وكان هذا الباب الكبير يفضى الى الاستديو . وتناول مانفريد مفتاحا من جيبه ، وفتح الباب ، ودخل الغرفة ، واضاء النور ، فاذا به يسطع على موائد وارفف تحمل اشكالا والوانا من القوارير والمقاييس الزجاجية والاوعية المتباينة ،

وانابيب الاختبــار ذات الاحجام والاشــكال المختلفة ، والموازين الدقيقة ، والمكثفات وآلتين عجيبتين من الزجاج تشبهان اجهزة تكثيف الغازات

وجلس بواكارت الى احدى المناضد ، ورفع ، فى حذر ، قدحا معدنيا كان فى وعاء ماء . ونظر مانفريد من فوق كتفه ، فراى كثافة المادة الموجودة فى القدح المعــدنى ، واوما بواكارت براســه موافقا على ملاحظته ، ثم قال :

ــ نعم . انه نجاح تام . وان التركيب جاء بالنتيجة المطلوبة . وربما ياتى اليوم الذى نحتاج الى استعماله

واعاد القدح الى وعاء الماء ، وتناول من تحت المنضــدة اناء به مسحوق الثلج وراح ، فى عناية وحذر ، يحيط به القدح المعدنى

وتناول قارورة صغيرة من فوق أحد الارفف ، ورفع سدادتها ، وسكب قطرات قليلة من مادة مائلة الى البياض فى القدح ثم قال :

ــ اننى أعتبر هذه المادة صمام الامان للعناصر المتفجرة فى القدح

ثم أردف قائلا وهو يتنهد بارتياح :

ــ ان هذه القطرات تعادل العناصر الخطرة الموجودة فيه . وانا لست رجلا مضطرب الاعصاب عادة ، ولكننى لم اشعر بالراحة لحظة واحدة طيلة اليومين الماضيين الا فى هذه اللحظة ، اذ كنت اخشى ان تنفجر هذه العناصر وتدمر المكان كله

ووضع مانفريد منديلا على أنفه وقال :

ــ ان الرائحة المتصاعدة منه لاتطاق

وكان ثمة سحابة رفيعة من الدخان تتصاعد من القدح

وعاد بواكارت يقول وهو يغمس انبوبة زجاجية فى مواد القدح :

ــ اننى عادة لا احفل بمثل هذه الرائحة

ثم رفع الانبوبة وراح يراقب القطرات الحمراء المتســاقطة من طرفها ، ثم قال :

ــ هذا حسن

وسأله مانفريد :

ــ ان هذه العناصر لم تعد متفجرة الآن ؟

ــ انها أصبحت الطف من قدح شيكولاته

ومسح بواكارت طرف الانبوبة بقطعة قماش ، وأعاد القارورة الى مكانها من الرف ، ثم التفت الى زميله قائلا :

ـ والآن ؟

ولم يجب مانفريد بشيء ، وانما فتح خزانة عتيقة الطراز كانت في ركن الغرفة ، وتناول منها صندوقا من الخشب المصقول ، وقال وهو يفتحه ويكشف عن محتوياته :

ـ اذا كان تيري ماهرا حقا في مهمته كما يقول ، فان هذا هو الطعم الذي سيستدرج السير فيليب الى مصرعه

وقال بواكارت :

ـ عظيم جدا

ثم أردف قائلا بعد برهة صمت :

ـ هل يعلم تيري شيئا عن الضجة التي اثرناها ؟

فقال مانفريد وهو يغلق الصندوق ، ويعيده الى الخزانة في رفق :

ـ اتعني هل يعلم انه الرجل الرابع ؟

ـ نعم

ـ لا . انه لايعلم هذا . واعتقد اننا يجب أن نخفي عنه هذه الحقيقة

ـ لماذا ؟

ـ لان مبلغ الالف جنيه ، اي ثلاثا وثلاثين الف ليرة اسبانية ، ليس بالشيء القليل

ـ ولا تنس العفو الشامل !

وضحك مانفريد وقال :

ـ ولاتنس أيضا فتاته في مدينة جيريز !



وفي ادارة صحيفة الميجافون ، كان سميث مندوب الاخبار يسرع الى نائب رئيس التحرير ليعرض عليه فكرة وضيئة خطرت بباله . ولما عرضها ، قال رئيس التحرير :

ـ لا بأس بها البتة !

ومعنى هذا أنها كانت فكرة رائعة تماما . والدليل على ذلك أن

رئيس التحرير عاد يقول :

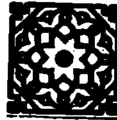
ـ لا بأس بها اطلاقا !

وقال مندوب الاخبار فى ابتهاج :

ـ لقد خطر لى أن واحدا أو أكثر من هؤلاء « الاربعة المنصفين » قد يكون أجنبيا عن البلاد ولايعرف كلمة انجليزية واحدة

ـ تماما . شكرا لك على هذه الفكرة . لســوف انظر فى أمر تنفيذها الليلة

وكانت نتيجة هذا الحديث ، ظهور « الميجافون » فى اليوم التالى وهى تنشر على صفحاتها الاعلان عن « جائزة الالف جنيه » باللغات الفرنسية ، والايطالية ، والإلمانية .. والاسبانية !!



www.books4all.net

الفصل السادس

انفجار فى الميجافون

التقى رئيس تحرير الميجافون ، بعد عودته من تناول العشاء ، بالمدير العام على سلم دار الصحيفة . وقد سأل هذا الاخير قائلا :

ـ كيف حال موضوع « الرجال الاربعة المنصفين » ؟

ـ ان الناس لايتحدثون الا عنهم ، والا عن جلسة البرلمان التى ستعقد يوم الثلاثاء للقراءة الثانية لمشروع القانون . أما رجال البوليس فانهم يتخذون كل مايمكن من الاحتياطات لحماية السير فيليب رامون

ـ وماهو الشعور العام ؟

وهز رئيس التحرير كتفيه وقال :

ـ لا يوجد أحد يصدق أن شيئا ما سيحدث رغم قنبلة البرلمان

وفكر المدير العام برهة ، ثم قال فجأة :

ـ ومارأيك أنت :

ـ أعتقد أن الرجال الاربعة المنصفين لن يستطيعوا ، بأى حال ، أن ينفذوا تهديدهم . لقد أوقعوا أنفسهم هذه المرة فى مأزق . فلو أنهم لم ينذروا رامون ، لكان من المحتمل أن ينجحوا فى القضاء عليه ، أما بعد الانذار .. !

وقال المدير العام :

ـ سوف نرى !

ثم انصرف فى طريقه الى البيت

وتساءل رئيس التحرير فى نفسه وهو يصعد السلم « الى متى سوف يملأ هؤلاء الاربعة المنصفون صحيفتنا بالاخبار المثيرة ؟ ثم ثم خامره الرجاء فى أن يقدموا على محاولتهم ، وان كانت ستبوء

حتما بالفشل

وكانت غرفة مكتبه الخاصة مغلقة ويخيم عليها الظلام . وبحث في جيبه عن المفتاح ، فلما وجده ، فتح الباب ودخل ، ومد يده الى زر النور ليضغط ويضيء الغرفة

وماكاد يفعل حتى توهج ضوء عنيف ، واندلعت ألسنة خاطفة من النيران برهة ، ثم غرقت الغرفة فى الظلام مرة أخرى

وزار رئيس التحرير ، وقد عاد الى الدهليز ، صائحا بقوله :

ـ استدعوا الكهربائى فورا . فقد احترق احد هذه الاكباس اللعينة

وكشف مصباح يدوى أن الغرفة ممتلئة بسحاب له رائحة نفاذة . وتبين الكهربائى ، ان كل مصباح ضوئى قد انتزع من مكانه ووضع بعناية على المنضدة

ومن طرف السلك الكهربائى المعلق فى السقف ، تدلى سلك آخر فى نهايته صندوق صغير اسود اللون كان السحاب ذو الرائحة النفاذة يتصاعد منه

وهتف رئيس التحرير :

ـ افتحوا النوافذ

وأحضر بعض العمال دلو ماء كبيرا ، ووضعوا فيه ، بحذر وحرص ، الصندوق الاسود الصغير

وهنا فقط لاحظ رئيس التحرير وجود الخطاب . وكان خطابا أخضر اللون موضوعا على مكتبه . فتناوله ، وقلبه بين يديه قبل أن يفتحه ، ولاحظ أن الصمغ المغلق به المظروف لايزال رطبا

وكان الخطاب كما يلى :

« السيد الجليل : لعلك ظننت عندما ضغطت على زر المصباح الكهربائى ورأيت ذلك الوهج العنيف ، انك ستروح ضحية أولئك « الارهابيين » الذين كتبت عنهم كثيرا . اننا نعتذر اليك عن اى ازعاج نكون قد سببناه لك . ان الامر كله لايعدو أن يكون وصلة كهربائية تطلق ضوءا وهاجا من مسحوق المغنسيوم . وكان من الممكن لنا بسهولة أن نضع بدلا من مسحوق المغنسيوم ، مادة شديدة الانفجار تدمر دار الصحيفة فى لحظات . لقد اردنا أن نقدم

اليك الدليل على أننا لسنا هازلين فى تهديدنا للسير فيليب رامون اذا أصر على اصدار ذلك القانون المجحف . ونحن نؤكد لك انه لاتوجد على سطح الارض قوة يمكنها أن تمنعنا عن تنفيذ حكمنا باعدام السير فيليب . ولكننا نريد أن تتوسط أنت فى الموضوع . وان تقف معنا فى إقناع السير فيليب ليسحب مشروع القانون من البرلمان ، ولينقذ نفسه من حكم الاعدام ، وينقذ أيضا حياة الكثيرين من الساسة الشرفاء الذين وجدوا فى أنجلترا ، الملجأ الامين

امضاء « الاربعة المنصفون »

وصفر رئيس التحرير بشفتيه وهو يمسح العرق عن جبينه ويرمق الصندوق الاسود الصغير الطافى على سطح الماء فى الدلو

وقال الكهربائى متسائلا :

ـ ماذا حدث ياسيدى ؟

فقال رئيس التحرير بجفاء :

ـ لاشىء . انته من عملك وامض

ونظر الكهربائى الى الصندوق الطافى فى ماء الدلو ، ثم تردد برهة قبل أن يقول :

ـ صندوق عجيب المنظر ياسيدى ، لو انك سألتنى عن رأيى ..

فقاطعه رئيس التحرير بضجر شديد قائلا :

ـ اننى لا أسألك شيئا ، اسرع بالفراغ من عملك واذهب الى سبيلك

فقال العامل معتذرا :

ـ اننى آسف جدا ياسيدى

وبعد نصف ساعة كان رئيس تحرير الميجافون يستعرض الموضوع مع ديلبى الذى كان يعتبر أكبر محرر للشئون الخارجية فى انجلترا كلها . وقد قال هذا وهو يبتسم بعد ان استمع الى حديث رئيس التحرير :

ـ اننى واثق تماما بأن أصحابنا هؤلاء جادون فى أعمالهم وفى تحقيق أهدافهم . واكثر من هذا أشعر أنهم سوف ينفذون تهديدهم مع السير فيليب رامون . فعندما كنت فى جنوا ...

وكان ديلبى يستقى معلوماته دائما من مصادرها الوثيقة . ومن

ثم اتسعت البسمة على شفتيه وهو يستطرد قائلا :

ـ عندما كنت فى جنوا ، التقيت برجل حدثنى عن حادث تريفوليتش الذى كان أحد الذين اشتركوا فى قتل ملك الصرب كما تذكر . وقد حدث ذات ليلة ان غادر مسكنه وذهب الى أحد المسارح . وفى تلك الليلة نفسها ، وجد مقتولا فى ميدان عام ، وقد اغمد سيف فى صدره حتى وصل الى القلب . وكان ثمة ظاهرتان عجيبتان فى الموضوع

وراح محرر الشئون الخارجية يعد على أصابعه وهو يستطرد قائلا :

ـ أولا كان المعروف عن الجنرال تريفوليتش أنه من أبرع اللاعبين بالسيف . وكانت الادلة تنم على انه لم يقتل غدرا ، وانه قتل فى مبارزة قانونية ، وثانيا أنه كان يرتدى صديرية تحت ملابسه تحميه من طعنات الخناجر والسيوف الغادرة . والواضح أن الرجل الذى بارزه اكتشف هذه الحقيقة ، وطلب منه ، قبل المبارزة ، ان يخلع الصديرية التى وجدها رجال البوليس بجانب الجثة

فسأله رئيس التحرير قائلا :

ـ وهل عرف فى ذلك الحين ان الرجال المنصفين الاربعة كانوا وراء هذا الحادث ؟

فهز ديلبى راسه وقال :

ـ اننا لم نكن قد سمعنا بعد عن هؤلاء الرجال

ثم سأل قائلا :

ـ وماذا فعلت فى موضوع مفاجأة الليلة التى حدثت لك ؟

ـ لقد استجوبت السعاة والحجاب وكل الذين كانوا يعملون بعد الظهر فى دار الصحيفة ، ولكنهم جميعا قالوا انهم لم يروا احدا مثيرا للريبة دخل أو خرج . وان هذا الامر عجيب حقا . اتعرف ياديلبى ان الرعدة تسرى فى وأصالى كلما تذكرت أن صمغ المظروف كان رطبا عندما فضضته ، وهذا يعنى أن ذلك المجهول قد غادر غرفة مكتبى قبل وصولى بلحظة .. فكيف دخل ، ومن اين خرج ، ولماذا لم التق به أثناء صعودى ؟ لقد كانت الغرفة مغلقة الابواب والنوافذ عندما دخلتها ! اننى فى حيرة من امرى

ـ هل أنت واثق بأن النوافذ كانت مغلقة .. كلها ؟

ـ نعم . النوافذ الثلاث .. كانت كلها مغلقة بمصاريعها الزجاجية والخشبية اغلاقا محكما ، وكان من المستحيل أن يكون احد قد دخل الغرفة أو غادرها عن طريقها

وقد أيد هذا القول ضابط المباحث الذى جاء لأخذ اقوال رئيس التحرير :

ـ ان الرجل الذى وضع ذلك الخطاب فى الغرفة لابد انه غادرها قبل وصولك بلحظة

وبعد أن استلم الخطاب ليضمه الى سجل الحادث ، راح يفتش الغرفة ويقوم فيها بتحريات دقيقة وهو يقول :

ـ ان هناك أشخاصا كثيرين يسخرون من الروايات البوليسية ، ولكنى شخصيا قرات كل مؤلفات جابوريو وكونان دويل ، واعتقد اننى استفدت الشىء الكثير من قراءاتى هذه ، فمثلا تعلمت أن أهتم بأتفه الاشياء نفس اهتمامى بأكبرها وأوضحها . ولايستطيع أحد أن يشك فى ان أعقاب السجائر ورمادها ذات دلالة كبيرة على تعرف شخصية المدخن

ثم سأل فجأة :

ـ الم يترك ذلك المجهول رماد سيجار أو شيئا من هذا القبيل وراءه ؟

فقال رئيس التحرير فى اسف :

ـ كلا

فنفض ضابط المباحث يديه وقال :

ـ يالالاسف

ثم نظر الى الصندوق الصغير الطافى على ماء الدلو واردف قائلا :

ـ جهاز شيطانى بلاشك !

وبعد انصرافه ، قال رئيس التحرير للمستر ديلبى أن « تلميذ شرلوك هولمز » أمضى نصف ساعة يفحص ارضية الغرفة بعدسة مكبرة ـ وقد عثر على نصف جنيه كان قد ضاع منى فى الاسبوع الماضى

ولم يكن ثمة أحد غير ديلبى ورئيس التحرير يعرف ماحدث طيلة ذلك المساء . وكل ماعرفه المحررون الاداريون والكتبة والسعاة ان « حدثا صغيرا » وقع فى جناح رئيس التحرير

وقال احد موظفى ادارة التوريدات بالصحيفة :

ـ لقد حرق الرئيس اكباس النور فى جناحه الخاص

وقال خبير الارصاد الجوية وهو يرفع عينيه عن الخريطة الموضوعة امامه :

ـ ويحه ! أتعرف شيئا من هذا القبيل حدث فى الليلة السابقة و . . ؟

وكان رئيس التحرير قد قال لضابط المباحث قبل انصرافه :

ـ انت وانا فقط اللذان نعرف حقيقة ماحدث ، فاذا تسرب نبأ الحادث الى الصحف الاخرى ، فسوف أعرف ان اسكتلانديارد هى التى نشرت النبأ

فقال ضابط المباحث مؤكدا :

ـ تأكد أن الخبر لن يتسرب عن طريقنا . فاننا نحاول بقدر الامكان ان نخفف من الصورة الرهيبة التى بدأ الراى العام يتخيلها عن هؤلاء الاربعة الارهابيين

ـ عظيم جدا

وكان رئيس التحرير ينطق هذه العبارة بلهجة تنم على التهديد

وهكذا ظل ديلبى ورئيس التحرير محتفظين بسر الحادث حتى أمست الصحيفة معدة للطبع . وقد يبدو هذا الرجل العادى مبالغا فى الحرص على أسرار الاخبار ، ولكن التجارب أثبتت للمشرفين على الصحف أن الاخبار تتسرب بطريقة غامضة من صحيفة الى اخرى قبل الطبع

فمثلا يحدث أن بعض عمال المطبعة الاشرار ـ واحيانا يكون بعض عمال المطابع أشرارا ـ ينسخون بعض الاخبار الهامة ويلقون بها من النوافذ حيث يتلقفها بعض أعوانهم وينطلقون بها الى الصحف المنافسة

وهذه طريقة واحدة من عشرات الطرق المعروفة فى ميدان الصحافة

وهكذا انفردت الميجافون ، فى تلك الليلة ، بهذه « الخبطة الصحفية » الجديدة ، فأخذت تعد للنشر على الصفحة الاولى هذه العناوين بالخط الاحمر العريض :

« اعتداء المنصفين الاربعة على مكتب رئيس التحرير »

« الرسالة الرهيبة »

« الاربعة المنصفون مصممون على تنفيذ تهديدهم »

« هل يستطيع رجال البوليس انقاذ السير فيليب رامون »

وقال رئيس التحرير وهو يقرأ تجارب المطبعة :

ـ هذه خبطة صحفية رائعة !

وفيما هو يهم بالانصراف وقد وقف يتبادل الحديث برهة مع ديلبى ، وكان يقول له :

ـ لا بأس أبدا . آه . ماهذا ؟

وكانت العبارة الاخيرة موجهة الى ساع بالصحيفة أقبل مع رجل غريب أجنبى السمت يقول :

ـ ان هذا الرجل يريد أن يتحدث الى واحد من الرؤساء هنا ياسيدى ، ويبدو عليه أنه متوتر الاعصاب بعض الشىء . ولهذا جئت به اليك ياسيدى ، وهو كما يلوح ، أجنبى ، ولم أفهم منه شيئا ، ولهذا احضرته اليك

وكانت الجملة الاخيرة موجهة الى ديلبى

وسأل رئيس التحرير الرجل الغريب قائلا بالفرنسية :

ـ ماذا تريد ؟!

وهز الرجل رأسه ، وتمتم بكلمات قليلة بلغة غير مفهومة . وهنا قال ديلبى :

ـ أها ! اسبانى ؟

ثم قال بالاسبانية :

ـ وماذا تريد ؟

فأشار الى نسخة من صحيفة الميجافون فى يده وقال :

ـ هل أنا الآن فى دار هذه الصحيفة ؟

ـ نعم

ـ هل أستطيع ان اتحدث الى مديرها العام ؟

فنظر رئيس التحرير الى الرجل فى ارتياب ، ثم قال :
ـ أنا المدير العام

فتلفت الرجل حوله فى حذر ، ثم قال وهو يتقدم الى داخل المكتب :

ـ انبى ، انبى أحد الاربعة المنصفين !

فتقدم ديلبى خطوة سريعة نحوه ، وشرع يحملق فيه وهو يسأله :

ـ ما اسمك ؟

ـ ميجويل تيرى من مدينة جيريز باسبانيا !!



كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة والنصف عندما كان بواكارت ومانفريد يستقلان مركبة بعد أمسية فى قاعة موسيقية ، ويتجهان غربا عبر ميدان هانوفر ومنه الى شارع اكسفورد

وكان مانفريد يشرح لبواكارت خطة وضع المغسيوم فى مكتب رئيس تحرير صحيفة الميجافون :

ـ اسأل عن رئيس التحرير وطالب بمقابلته ، وسوف يمضون بك الى مكاتب الادارة العامة ، وحدثهم عن الموضوع المصطنع الذى اتفقنا عليه ، وسوف يعتذرون ويعربون عن أسفهم لانهم لم يستطيعوا أن يقدموا اليك اية خدمة . وهم بطبيعة الحال سيتركونك تنصرف بمفردك . وحتى لو صحبك بعضهم ، فانه لن يمضى معك الى خارج الدار ، ومن ثم عليك أن تنتهز الفرصة وتتجول فى الدار حتى تصل الى غرفة مكتب رئيس التحرير . فاذا رآك أحد فيمكنك أن تعتذر له بأنك ضللت الطريق الى الخارج ، واذا لم يرك أحد فيمكنك أن تتسلل الى غرفة مكتب رئيس التحرير بعد ان تتأكد من خلوها ، ثم تفرغ من العملية ، وتغادرها وتغلق الباب وراءك اذا لم يكن هناك من يراك ، أو تتظاهر بأنك تلقى ببعض كلمات التحية عند الانصراف اذا كان هناك أحد خارج الغرفة ، ثم تنصرف

وأردف مانفريد قائلا بينما كان بواكارت يقضم طرف سيجاره :

ـ استعمل فى لصق المظروف صمغا من النوع الذى لايجف الا بعد ساعة ، لان هذا سيزيد الحادث غموضا واثارة

وابتسم بواكارت موافقا ، بينما استطرد مانفريد قائلا :

ـ ان المظروف الذى يبدو رطب الصمغ سيكون موضع اهتمام خاص من البوليس الانجليزى

وبعد ان انطلقت المركبة فى شارع اكسفورد ، انعطفت الى شارع ادجوير ، وعندئذ رفع مانفريد غطاء المركبة وقال للسائق انه سيهبط مع صاحبه فى ذلك الشارع . وهنا قال السائق وهو يستلم الاجر :

ـ ظننتك ستهبط فى بمبردج جاردنز !

ـ هذا ماكنت أنويه فعلا . طاب ليلك

وبقيا على الافريز يتحدثان برهة حتى اختفت المركبة عن الانظار ، ثم انعطفا الى ميدان « الماربل آرش » وعبرا شارع بارك لين الارستقراطى ، ومنه ذهبا الى بيكاديللى حيث دخلا مطعما يحتوى على مقاصير صغيرة يجلس فيها الرواد يأكلون ويشربون بعيدا عن نظرات الفضوليين . وفى احدى هذه المقصورات رأيا جونزاليز جالسا بمفرده يدخن سيجارة طويلة وتبدو على وجهه الحليق اشد امارات القلق والضيق

ورغم ان كلا الرجلين لم يظهرا اية لمحة من الدهشة ، الا ان قلب كل منهما هبط الى قدميه خوفا وحذرا

وبعد ان جلسا الى مائدته ، قال مانفريد بعد ان أحضر الخادم طلباتهما وانصرف :

ـ أين تيرى ؟

فهز جونزاليز كتفيه وقال :

ـ هرب منى

وبعد برهة من الصمت التام ، استطرد جونزاليز قائلا فى لهجة تساؤل :

ـ هل سلمته فى هذا الصباح ، قبل ان تنصرف من المؤسسة ، حزمة من الصحف ؟

فأومأ مانفريد برأسه وقال :

ـ انها صحف انجليزية ، وتيرى لايعرف كلمة انجليزية واحدة . وقد أعطيتها له ليتسلى بالفرحة على مافيها من صور

ـ وهل كانت بينها صحيفة الميجافون ؟

وهنا تذكر مانفريد وقال :

ـ آه ! نعم

ـ ان اعلان الجائزة والعفو الشامل منشور بها هذا اليوم باللغة الاسبانية

وشردت نظرات مانفريد وهو يقول ببطء :

ـ اننى أذكر هذا . عرفته فيما بعد حين قرات الصحيفة

وقال بواكارت معلقا عى الموضوع :

ـ هذه فكرة بارعة جدا من تلك الصحيفة

وقال جونزاليز :

ـ لقد لاحظت انه مهتاج الشعور بعض الشيء ، ولكننى ظننت أن اهتياج مشاعره راجع الى الطريقة التى ذكرناها له فى القضاء على السير فيليب ودوره فيها

واسرع هذا وغير موضوع الحديث عندما اقترب خادم المطعم ، حتى اذا عاد وابتعد ، استطرد قائلا :

ـ وخرجنا نتمشى بعد الظهر ، وفيما نحن نسير فى شارع ريجنت ، كان يتوقف بضع لحظات أمام واجهات المتاجر . وبعد أن توقفنا أمام محل تصوير فوتغرافى ، آذا به يختفى فجاة ، وكان بالشارع مئات من المارة ، ولكن لم يكن بينهم تيرى . وقد ظللت ابحث عنه منذ ذلك الحين

ورشف جونزاليز من كأسه ، ثم نظر فى ساعته

أما زميلاه ، فلم يقولا او يفعلا شيئا

ولكن المراقب الدقيق كان فى مقدوره ان يلاحظ أن مانفريد وبواكارت راحا يتحسسان رقبتيهما بطريقة لا ارادية . وهنا قال جونزاليز :

ـ ان الامر ليس على مثل هذه الصورة من السوء

وقال مانفريد :

ـ اننى الوحيد المسئول عن هذا الخطأ

وقاطعه بواكارت قائلا :

ـ اذا كان هناك من اخطأ ، فانا الوحيد الذى لم يخطىء

ثم ضحك قائلا :

ـ لا . . ليس هذا وقت الندم والبكاء على مافات . فنحن نعرف مكر ذلك اللعين تيرى ، ولهفته على العودة الى فتاته فى جيريز

وبعد خمس دقائق كان كل منهم مستغرقا فى أفكاره ، قال جونزاليز اخيرا :

ـ ان سيارتى قريبة من هنا ، ويمكننا الاسراع بها الى زورقنا البخارى الراسى فى مرفأ برنام كروش ، ومن المؤكد أن نصل به الى فرنسا مع شروق الشمس

ونظر مانفريد اليه وقال :

ـ وما رايك انت ؟

ـ يجب أن نبقى ونتم مهمتنا

وقال بواكارت فى لهجة حاسمة :

ـ وهذا رايى ايضا

واستدعى مانفريد خادم المطعم وقال له :

ـ الديكم آخر طبعة من صحف المساء ؟

و سر الخادم نسختين من صحيفتين مسائيتين ، وبعد انصرافه قال مانفريد وهو يتصفحها بعناية :

ـ لا شيء فيهما . فلو ان تيرى لجأ الى البوليس ، فيجب أن نختفى ونفكر فى طريقة أخرى للقضاء على وزير الخارجية ، او نوجه ضربتنا اليه فورا فان تيرى قد اخبرنا بكل ما كنا نريد أن نعرفه منه ، ولكن . .

وهنا اكمل بواركارت عبارته بقوله :

ـ ولكننا لن نكون عادلين مع السير فيليب ، فلا يزال هناك يومان على عرض مشروع القانون للقراءة الثانية . ولا يزال امامنا وقت علينا أن نرسل اليه بالانذار الثانى ، ثم الاخير

ـ اذن يجب العثور على تيرى بأى ثمن

وكان مانفريد الذى قال هذا وهو ينهض منصرفا متبوعا بزميليه ، وقال جونزاليز متسائلا :

ـ اذا لم يكن قد ذهب الى رجال البوليس ، فالى أين ذهب ؟

وكانت نبرات صوته تحمل الاجابة فى طياتها ، ومن ثم قال

مانفريد :

ـ الى ادارة صحيفة الميجافون طبعا

واوما الاخران براسيهما موافقين ، وعاد مانفريد يقول :

ـ أن سيارتك يا جونزاليز ضرورية الان !



وفي غرفة رئيس تحرير الميجافون ، وقف تيري أمام ديلبي ورئيس التحرير ، وكان ديلبي يقول له :

ـ تيري ؟ انني لم أسمع بهذا الاسم من قبل ! من اين جئت ، وما هو عنوانك ؟

ـ جئت من مدينة جيريز الاسبانية ، من مقاطعة تقطير الخمور في سينور

ـ لا ، ليس هذا ما اعنيه . انني اسالك من اين جئت الآن ؟ من اي مكان في لندن ؟

فرفع تيري يديه في يأس وقال :

ـ ومن أين لي ان أعرف ؟ ... لندن عبارة عن منازل وشوارع وأشخاص لا عدد لهم . كل ما أعرفه انني مكلف بقتل رجل ، وزير ، لانه سيصدر قانونا ظالما ، وهم لم يخبروني

فقال رئيس التحرير في لهفة :

ـ هم ؟ من ؟

ـ الثلاثة الآخرون !

ـ وماهي أسماؤهم ؟

فارسل تيري اليه نظرة مليئة بالشك ثم قال :

ـ أن هناك جائزة ، وعفوا تاما ، واريد اولا ان أطمئن قبل أن أدلي بأية معلومات

ـ إذا كنت احد هؤلاء الاربعة ، فسوف تنال الجائزة ، وتظفر بالعفو العام طالما انك لم تشترك في جرائمهم السابقة

ثم ضغط على جرس ، فلما حضر احد السعاة ، طلب منه أن يمضي الى قاعة جمع الحروف ويطلب من رئيس العمال الا يسمح لاحد بالانصراف حتى تصدر أوامر أخرى

وكانت الآت الطباعة في الدور ... ر وسعى الى أيدي العمـــر

بنسخ الطبعة الاولى من الصحيفة

وعاد رئيس التحرير الى تيرى وقال له :

ـ والآن . أخبرنا بكل ما تعرفه

ولم يجب تيرى بشيء ، وانما حملق بنظراته الى الارض وهو يغمغم فى عناء :

ـ هناك جائزة وعفو كامل !!

وصاح ديلبى به :

ـ اسرع . لسوف تنال الجائزة والعفو أيضا . اخبرنا من هم الاربعة المنصفون ؟ من هم الثلاثة الآخرون ؟ اين يمكن ان نجدهم ؟

ـ هنا

وكان صوت الذى نطق بهذه الكلمة واضحا وهو يدخل غرفة المكتب بهدوء ويغلق الباب وراءه ، ويواجه الرجال الثلاثة . وكان مرتديا ملابس السهرة الانيقة ، ويخفى الجزء الاسفل من وجهه بقناع اسود ، ويمسك بمسدس مصوب الى صدورهم

وعاد هذا الغريب يقول بصوت هادىء :

ـ اننى احدهم ، وهناك اثنان آخران ينتظران خارج دار الصحيفة

وهتف رئيس التحرير قائلا وهو يمد يده الى درج مفتوح أمامه :

ـ كيف دخلت ؟ وماذا تريد ؟

واتجهت فوهة المسدس الى راس رئيس التحرير ، وقال الغريب:

ـ أبعد يديك عن هذا الدرج . أن للمسدس جهازا كاتما للصوت اما كيف دخلت ، فان البواب سيشرح لك الامر بعد ان يفيق من اغمائه . واما لماذا جئت ، فلكى انقذ حياتى ، وهو سبب معقول طبعا فان تيرى اذا اعترف ، فسوف أكون مع زميلى فى عداد الموتى ،وقد جئت لامنعه من الكلام . وليس بينى وبين أحد هنا اية خصومة أو عداء ولكن . . .

ثم قال مردفا بصوت بارد قاطع كحد السيف :

ـ ولكن ، اذا اعترض أحد سبيلى ، فسوف أكون مضطرا الى قتله مع الاسف

وكان يتحدث بالانجليزية ، أما تيرى فقد كان يتراجع الى جدار الغرفة وقد ارتسمت على وجهه اشد امارات الفزع والرعب ،والتفت

الغريب ذو القناع الاسود اليه وقال له باللغة الاسبانية :

ـ أما انت ، فقد اوشكت ان تغدر بزملائك ، وتهمل واجبا عاما فى سبيل مصلحة شخصية ، ولهذا حق عليك الموت

وصوب مسدسه الى صدر تيرى الذى تهالك على ركبتيه وهو يتمتم بالصلوات . ولكن رئيس التحرير وثب الى الامام وقال هاتفا :

ـ لا ، لا بحق السماء !

واتجهت فوهة المسدس اليه ، وقال ذو القناع الاسود :

ـ أيها السيد . أرجوك بحق الله الا ترغمنى على قتلك !

فتقدم الرئيس خطوة وهو يقول بغضب شديد :

ـ لا يجب أن ترتكب جريمة قتل غادرة ...

ولكن ديلبى أمسك بذراعه وقال له بصوت خافت :

ـ وما جدوى هذا ؟ انه مصمم على ما يريد ، ولن نستطيع نحن ان نفعل شيئا

فقال الغريب :

ـ بل تستطيع أن تفعل شيئا

وقبل أن يجيب ديلبى ، سمع الجميع نقرا على باب الغرفة ، فقال الغريب بلهجة حاسمة :

ـ قل للطارق انك مشغول الآن

فصاح رئيس التحرير :

ـ انصرف الآن ، اننى مشغول جدا !

فقال الطارق من خارج الغرفة :

ـ ان عمال المطبعة فى الانتظار

وقال الرئيس بعد انصراف الطارق :

ـ والآن . ماذا يمكننا أن نفعل ؟

ـ يمكنكم أن تنقذوا حياة هذا الرجل

ـ كيف ؟

ـ بأن تتعهد لى بشرفك ان تسمح لكلينا بالرحيل معا دون أن تستنجد باحد أثناء خروجنا وألا تغادر غرفتك هذه الا بعد ربع ساعة من انصرافنا

وتردد الرئيس برهة قبل أن يقول :

ـ وانى لى أن اعرف أن جريمة قتل هذا الرجل لن تتم بمجرد انصرافك ؟

فضحك الغريب تحت قناعه وقال :

ـ ومن أين لى أن أعرف أنك لن تستنجد بأحد بمجرد انصرافنا من غرفتك

فقال رئيس التحرير فى جفاء :

ـ سأكون قد تعهدت بشرفى يا سيدى

ـ وكذلك انا ، ولم يحدث ابدا اننى نكثت عهدى

وتصارعت الخواطر فى ذهن رئيس التحرير وهو يرى هذه الفرصة العجيبة تسنح له ، انها فرصة العمر . ولو أن هذا الرجل الغريب المقنع تأخر دقيقة واحدة لاستطاع أن يستخلص من تيرى سر هؤلاء الاربعة

وحتى الآن ، فان حركة جريئة يمكن ان تنقذ الموقف ، فعمال المطبعة فى الانتظار . . غير ان تلك اليد الممسكة بالمسدس انما هى يد رجل حازم قوى العزم ، وتغلب حب الحياة ومن ثم خضع قائلا :

ـ اننى أوافق ، ولكننى مع احتجاجى على هذا التصرف احب أن انذرك ان القبض عليكم أمر محتوم وانه اذا لم يتم اليوم ، فسوف يتم بعد حين بلا مراء

فانحنى الرجل المقنع انحناء خفيفا وقال :

ـ يؤسفنى أنى لا اتفق معك فى وجهة النظر هذه . فليس فى هذه الدنيا أمر محتوم غير الموت !

ثم اردف قائلا بالاسبانية لتيرى :

ـ هلم يا تيرى ، اننى أقسم لك الا امسك بسوء أو أذى

وتردد تيرى برهة ، ثم تقدم نحو الباب مطرق الراس ، ينظر الى الارض

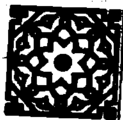
وفيما كان الغريب المقنع يفتح الباب فى حذر ويسترق السمع ، خطرت ببال رئيس التحرير فكرة العمر ، فهتف قائلا بسرعة :

ـ اسمع ! لماذا لاتكتب لنا عن انفسكم ؟ اننى لا اطلب طبعا أن تكتبوا شيئا يكشف امركم ،ولكننى ارجو أن تكتبوا شيئا عن اهدافكم وأعمالكم والاسباب الحقيقية التى دفعت بكم الى هذا السبيل

فقال الغريب المقنع بصوت ينم على الاعجاب :

ـ أيها السيد ! انك صحفى قدير وفنان موهوب ، ولهذا سوف أرسل اليك المقال غدا

وفى لمح البصر ، كان الرجل المقنع وتيرى قد انصرفا



الفصل السابع

الوجوه الصارمة

خرجت على العالم فى اليوم التالى نشرات البوليس الحمراء ، وبيانات لا حصر لها فى الصحف التى تحمل فى صفحاتها الاولى ، وبالخط العريض ، تذكر للقراء كيف كاد « المنصفون الاربعة » ان يقعوا فى قبضة رجال البوليس . وكان الرجال فى كل مكان يقرءون الصحف ويتبادلون الاحاديث عما كان يمكن أن يفعله كل واحد منهم لو كان فى موضع رئيس تحرير الميجافون أو زميله المستر ديلبى . وتوقف الناس عن الحديث عن الحروب ، والمجاعات ، والازمات الدولية والشئون السياسية ، ليركزوا كل افكارهم وأحاديثهم على أولئك « الاربعة المنصفين » المجهولين : هل سينفذون تهديدهم ؟ وهل سينجحون فى ل وزير الخارجية فى اليوم التالى ؟

لم يكن ثمة موضوع للحديث غير هذا . فهاهنا تهديد بقتل وزير خطير ، فاذا لم يحدث ما ليس فى الحسبان من مفاجآت غير متوقعة فهل سينفذ « الاربعة المنصفون » حكمهم باعدام الوزير فى اليوم التالى ؟

ولا عجب اذا افردت جميع الصحف الانجليزية جانبا كبيرا من صفحاتها لمناقشة جميع الاحتمالات فى هذا الشأن

وعند الظهر أصدرت اسكتلانديارد نشرة عاجلة وزعتها فى انحاء البلاد . وكان هذا نصها :

« جائزة الف جنيه »

مطلوب الارشاد عن ميجويل تيرى ، المسمى سيمونت ، وكذلك نى شيكو ، وهو من مدينة جيريز باسبانيا . وهو اسبانى لا يتكلم اللغة الانجليزية . طوله خمس اقدام وثمانى بوصات ، وعيناه

عسليتان ، وشعره اسود ، وله شارب اسود ، ووجه عريض ، وفى خده ندبة بيضاء ، أثر جرح سكين . وقوامه متين

وستدفع المكافأة المذكورة لاى شخص او اشخاص يتقدمون للبوليس ببيانات تمكن البوليس من الاستدلال على تيرى سالف الذكر لاتهامه بالاتصال بتلك الجماعة الاثيمة المعروفة باسم « الاربعة المنصفين »

وقد دل هذا الوصف على أن ادارة الامن العام لم تضيع لحظة واحدة منذ أخطرها رئيس تحرير الميجافون بالامر فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . لقد بادرت بالاتصال برقيا بادارةالامن العام الاسبانية ، وحصلت منها على هذه المعلومات والاوصاف الخاصة بالمدعو ميجويل تيرى المشهور باسم سيمونت

اما السير فيليب ، فقد جلس فى غرفة مكتبه بقصره المسمى بورتلاند بالاس ، يحاول أن يركز تفكيره فى كتابة رسالة الى وكيله فى منطقة برانفيل التى تقع فيها أملاكه الزراعية . ولما لم يكن للسير فيليب بدون زوجة أو ولد او أى اقارب فقد راح يكتب لوكيله رسالة يقول فيها :

« .... اذا حدث واستطاع هؤلاء الارهابيون أن ينفذوا تهديدهم لى غداً ، فانى اذكر لك اننى اتخذت جميع الترتيبات اللازمة لتوزيع جانب كبير من تركتى لا عليك وحدك بل على جميع الذين خدمونى باخلاص كذلك ... »

وقد نم اسلوب هذه الرسالة على ما يختلج فى قلبه من اسى

ولم يكن السير فيليب بلا اقارب فقط ، وانما كان أقرب الى أن يكون كذلك بلا أصدقاء ، ذلك انه كان من نوع الرجال الذين ليس من صفاتهم ما يؤهلهم لاكتساب الاصدقاء فى الحياة ، كان عنيفا ، عنيدا ، شريفا مستقيما ، معتزا بارادته ، لا يقبل ان يناقشه أحد اذا آمن بشىء ، وقد اضطر اربعة من الوزراء ان يستقيلوا ، وكان المعروف فى كل مرة أن الاستقالة كانت بسبب اصطدام آرائهم بآرائه . وكان يصر دائما على عدم الاقامة فى مقر وظيفته بدار وزارة الخارجية فى داونيج ستريت رقم ٤٤ كما تجرى التقاليد عادة . كان يفضل ان يقيم فى قصره « بورتلاند بالاس » الذى يقع

قريبا من دار وزارة الخارجية ، ويتصل مكتبه فى القصر ، بمكتبه فى الوزارة ، بخط تليفونى فرعى خاص

ولكن رجال البوليس أصروا على أن ينتقل السير فيليب للاقامة فى دار وزارة الخارجية بداوننج ستريت طيلة اليوم التالى ، حتى يستطيعوا ان يركزوا جميع ترتيباتهم لحمايته من جهة ، ولكى يجنبوه هذا الانتقال الخطر من قصره الى الوزارة فى الصباح ، ثم عودته من الوزارة الى القصر فى المساء

وقد احتاج هؤلاء الى بذل جهود مضنية لاقناع السير فيليب باتخاذ هذه الخطوة . ولم يقبل اخيرا الا عندما قال له المفتش فالموث بصراحة :

ـ انك لن ترضى طبعا ان تجد رجال البوليس يملئون قصرك هذا ، ويصحبونك فى جميع انتقالاتك من غرفة الى أخرى ، حتى الحمام !! أما فى مقر الوزارة بداوننج ستريت ، فنحن نتعهد لك بأنك لن ترى من رجال البوليس غيرى وغير اثنين من مساعدى

وكان السير فيليب يكتب هذا الخطاب الى وكيل اعماله استعدادا للانتقال من قصره بورتلاند بالاس فى ذلك المساء الى دار وزارة الخارجية فى داوننج ستريت رقم ٤٤ ، بينما وقف رجل البوليس خارج الغرفة

وسمع أزيز التليفون بجانبه ، وكان السير فيليب يكره رنين الاجراس ـ فتناول المسماع حيث سمع صوت سكرتيره الخاص يسأله فى قلق عن الموعد الذى سيصل فيه الى مقر الوزارة ثم يردف قائلا :

ـ ان عدد الحراس فى دار الوزارة الآن قد بلغ ستين رجلا ، وغدا سيكون العدد اكثر من ستمائة

وانصت الوزير فى ضيق الى سكرتيره الخاص وهو يحدثه بتفاصيل الاجراءات التى اتخذت لحمايته ، فلما فرغ ، قال الوزير ساخرا :

ـ ولماذا لم تعدوا لى خزانة حديديه لتضعونى فيها ؟

فقال السكرتير دون أن يفطن الى ما فى صوت الوزير من سخرية :

ـ الواقع ان غرفة مكتبك بالوزارة قد أصبحت كالخزانة الحديدية

ـ انت الذى وشيت بنفسك ، وعليك وحدك أن تحتمل نتيجة عملك . ولكننا على كل حال سوف نجد لك ملجأ آخر ، اسبانيا جديدة ، ولكن تحت سماء اخرى وهناك ستجد فتاتك فى جيريز فى انتظارك هناك

وراح تيرى ينقل انظاره فى وجوههم . اتراهم يهزءون به ؟ ولكن وجوههم خلت من الابتسامة التى تدل على السخرية فقال لهم :

ـ هل تقسمون على هذا ؟ هل تقسمون على أنه ..

فقال مانفريد :

ـ انى اعدك ولكن اذا أردت أن أقسم ، فانى أقسم لك ، والآن ..

ثم غير لهجته فى الحديث واردف قائلا :

ـ هل تعرف ماذا ننتظر منك غدا مساء ؟ هل تعرف ما ينبغى أن نقوم به ؟

فلما أومأ تيرى براسه ، استطرد مانفريد قائلا :

ـ اننا لا نريد اى خطأ او ارتباك أو تعثر أو اهمال ولو بسيط . فأنا وانت وبواكارت وجونزاليز سوف نقتل هذا الوزير الظالم فى الموعد المحدد بطريقة ما من احد كان يمكن ان يفكر فيها ، طريقة تجعل العالم كله يضرب كفا بكف ـ نعم ، سوف تكون طريقتنا فى تنفيذ حكم الاعدام عليه الاولى من نوعها ، انه موت سيكون سريعا ، حاسما ، خاليا من الالم . موت يتسلل الى مخبئه كالشبح الخفى ، لا يعوقه حراس ، ولا تمنعه قضبان ، ولا يعترض سبيله شىء ، أى شىء . نعم ، ان ما سيحدث غدا لن يكون له مثيل فيما سبق من احداث عالمية ...

وتوقف مانفريد عن الحديث فجاة وقد اضطرمت وجنتاه ، ثم نظر الى زميليه وقد ظلا بوجهين جامدين كوجه أبى الهول . وفجأة أردف قائلا فى لهجة متواضعة :

ـ اننى آسف ، لقد نسيت فى هذه اللحظة سمو الهدف والغاية وانا اتحدث عن عظمة الوسيلة

فضغط جونزاليز على ذراع مانفريد مطمئنا ، بينما قال بواكارت :

ـ اننا نقدر مشاعرك

ووقف الثلاثة مرتبكين برهة فى صمت ، وفجأة ضحك مانفريد

قائلا :

ـ حسنا جدا . هلم الى العمل !

ثم تقدمهم الى المعمل

وفى داخل المعمل ، خلع تيرى معطفه ، لقد كان فى خارج هذا المعمل هو العضو الرابع الخاضع للاوامر الذى ينتفض رعبا ، اما الآن فقد اصبح الرئيس المطاع داخل نطاق مهنته وفنه . وهكذا راح يوجه ويرشد ويصدر الاوامر والتعليمات الى الرجال الذين كان يقف بينهم قبل لحظات ذليلا مهيض الجناح

وكانت هناك أعمال كثيرة وعمليات حسابية دقيقة تتم على الورق وتجارب عديدة ينبغى القيام بها قبل اتخاذ الخطوة الاخيرة ، وهى اعمال بالغة فى الدقة وتتناول الاحصاءات والرياضيات العالية ، والتجارب المختلفة على بعض العناصر الكيميائية ، والعمليات الحسابية الدقيقة . ذلك أن تنفيذ حكم الاعدام على السير فيليب كان ، فى نظر الرجال الاربعة ، حدثا جديرا بتسخير كل ما وصل اليه العلم الحديث من تقدم

وقال مانفريد فجأة وهو يصعد الى نافذة مسحورة فى سقف الغرفة :

ـ لسوف أقوم بالقاء نظرة على مسرح الاحداث

وبعد ان زحف الى سقف غرفة المعمل ، وهى أعلى غرفة فى المؤسسة ظل منبطحا على وجهه لحظات يتطلع خلالها الى الشوارع والمناطق المحيطة بداونتج ستريت وقصر بورتلاند بالاس ، وكان يستخدم فى هذه العملية منظارا مقربا قوى العدسات

ولما هبط الى زملائه ، قال تيرى فى صوت ينم على الزهو وهو يفرك يديه :

ـ ارايتم ؟

وقال مانفريد فى هدوء :

ـ ارى أنك نجحت فى الوصول الى التركيبة المناسبة

وقال تيرى :

ـ ان اروع ما فى الموضوع انى جعلتها صالحة للتركيب فى الظلام ، ما دمنا سنقوم بالخطوة الاخيرة فى ظلام دامس

من فرط التحصينات التى زودت بها

وما أن أعاد الوزير المسماع الى مكانه حتى سمع طرقا خفيفا على الباب ، ثم رأى المفتش فالموث يطل براسه ويقول :

ــ اننى لا أريد أن اتعجلك يا سيدى ، ولكن . .

وهكذا انتقل الوزير الى مقر وزارة الخارجية وهو يكاد يتميز من الغيظ ، لانه لم يتعود أن يتحكم أحد فى تصرفاته أو تنقلاته . وقد رأى الطريق مكتظا برجال البوليس على الجانبين ، بعضهم فى ثياب رسمية وعلى متون الدراجات البخارية ، والبعض الآخر فى ثياب مدنية ، ولما وصل الى الوزارة وجد الطريق مسدودا أمام كل سيارة الا سيارته ، فشعر لاول مرة فى حياته انه يقاسى الذل والمهانة

وفى مكتبه بالوزارة ، قدم اليه السكرتير الخاص نسخة من الكلمة التى سيلقيها تمهيدا للقراءة الثانية لمشروع اللاجئين السياسيين ، فراح يطلع عليها ، ويعد نفسه لما سيلقيه من حجج لاقناع النواب القلائل المعارضين ، ثم تبين فجأة أن هذه الضجة التى أثارها أولئك الاربعة المجهولون قد ساعدت على ضم عدد كبير من صفوف المعارضة الى تأييد مشروع القانون

وشعر الوزير فجأة بالهدوء والاطمئنان ، بل بشىء من البهجة والانتعاش وهو يقول لنفسه مطمئنا :

« لا شك أن رجال الصحافة والبوليس قد بالغوا فى امر هؤلاء الارهابيين المزعومين ، والا ، فأين هم أولئك الذين يستطيعون ان يقتحموا كل هذه الاجراءات الحراسية ليصلوا الى ؟ انى اعتقد أن الصحافة هى المسئولة الاولى ، فقد ارادت أن تحوز نصرا صحفيا ، فهولت فى الامر ، حتى اضطر رجال البوليس الى مقابلتهم ، وعمل كل هذه الاحتياطات ضد هؤلاء الذين يسمون أنفسهم .. ماذا يسمون أنفسهم ؟ الاربعة المنصفون ؟؟ »

انه لم ينس هذا الاسم ، وان كان يريد أن يمثل دورا ، فقد ظل هذا الاسم عالقا بذاكرته ليلا ونهارا

ولما اقبل عليه سكرتيره الخاص ، ابتسم له وقال فى شىء من السخرية :

ــ ما هى آخر أنباء أصحابنا الاربعة المزعومين ؟

فتردد السكرتير برهة ، ثم قال :

ـ اننى لا اعرف أكثر مما قرانا جميعا فى الصحف . لقد عرفت شخصية أحدهم ، وهو المدعو تيرى . أما الآخرون ، فلا يعرف احد عنهم شيئا

فلوى الوزير شفتيه ثم قال :

ـ لقد تركوا لى الفرصة متاحة للتراجع حتى مساء الغد

ـ هل وصلك منهم شىء مرة أخرى ؟

ـ اقصر انذار

ـ والا ؟

وقطب الوزير جبينه وهو يسمع كلمة « والا ـ » من سكرتيره ، فقد كانت دلالتها واضحة جعلت البرودة تسرى فى دمائه

ـ والا فانهم سيفون بوعيدهم بلا مراء



فى الغرفة العليا من المصنع بمؤسسة الزنكغراف بشارع كارنابى ، جلس تيرى امام زملائه الثلاثة خائفا ، شاحب الوجه ، يرتعد

وقال له مانفريد بهدوء :

ـ اريدك أن تدرك تماما اننا لا نحمل لك ضغينة أو حقدا لما فعلت . فأنا والسنيور بواكارت نرى ان السنيور جونز اليز أحسن صنعا عندما عفا عنك وحفظ لك حياتك وجاء بك الى هنا سالما

واسدل تيرى جفنيه امام نظرات الرجال الثلاثة المحملقة فى وجهه ، ثم قال مانفريد مستطردا :

ـ وغدا مساء سوف تنفذ ما اتفقنا معك على تنفيذه ، اذا دعت الضرورة واصر الوزير على موقفه ، وبعد ذلك يمكنك أن ترحل ..

فقال تيرى فى غضب مفاجىء :

ـ الى اين ؟ الى اين بحق السماء ؟ لقد ذكرت لهم اسمى ، وغدا سيكون رجال البوليس قد اتصلوا ببوليس أسبانيا وعرفوا كل شىء عنى . فالى أين اذهب ؟

ثم وثب واقفا وراح يحدج الرجال الثلاثة بنظرات يتطاير منها الشرر ، وقد اخذ يرتعد من فرط الغضب . وقال له مانفريد فى هدوء :

ثم ضحك وقال فى ابتهاج :

ـ كل شىء قد تم اعداده ، دعونى أقابل ذلك الوزير ، واسمحوا لى بالحديث معه لحظة واحدة ، وفى اللحظة التالية سيكون جثة هامدة

وكانت ملامح وجهه قد تغيرت بتأثير الانفعال النفسى العنيف ، واصبحت اقرب ما تكون الى ملامح ثور المصارعة فى بلاده وهو يستعد للجولة الحاسمة الاخيرة

ثم تنبه فجأة الى أن الرجال الثلاثة وقفوا أمامه صامتين تماما ، فراح ينقل نظراته من وجه الى آخر ، واذا هو يفاجأ بوجوه ثلاثة صارمة جامدة لا يختلج فيها عصب واحد ، واذا هو يحملق فيهم برهة ، ثم يصيح وهو يطمر وجهه بين يديه :

ـ لا . لا . لا تنظروا الى هكذا . لا ! بحق السماء . لا تنظروا الى هكذا !

ـ مثل ماذا يا تيرى ؟

ـ مثل القاضى الذى اصدر على حكم الاعدام فى غرناطه

ـ اذا كنا نبدو هكذا ، فلاننا قضاة . ولسنا قضاة فقط ، وانما جلادون أيضا ، منفذون لاحكامنا

فهمهم تيرى فى استخذاء :

ـ لقد ظننت انكم ستغتبطون وتسرون !

وقال مانفريد :

ـ لقد احسنت العمل ؟

ورد الآخرون :

ـ مرحى ! مرحى !

واضاف مانفريد قائلا فى اهتمام :

ـ صلوا من اجل النجاح فى مهمتنا

ونظر تيرى اليه فى عجب واندهاش



أعلن المفتش فالموث للحكمدار ان جميع الترتيبات لحماية السير فيليب رامون قد استكملت تماما . وقد قال فى هذا السبيل :

ـ لقد ملأت شارع داوننج ستريت بالحراس الرسميين والمدنيين، اما دار وزارة الخارجية ، فقــد وضعت فى كل غرفة رجـلا من المخابرات ، وفوق السطح وضعنا أربعة من خيرة رجالنا للحراسة ، ورجالا فى البدروم ، وآخرين فى المطبخ

وسأله الحكمدار :

ـ وماذا عن الخدم ؟

ـ لقد أخلى السير فيليب قصره بورتلاند بالاس من جميع الخدم، واحضر رجاله من مزارعه للاشــتراك مع الحراس فى حمايتــه ، واصبحنا نعرف كل صغيرة وكبيرة عن كل واحد من الحـــراس الرسميين والمدنيين

وتنهد الحكمدار فى قلق وقال :

ـ لسوف أكون سعيـــدا اذا انتهى يوم الغد بســلام . ما هى الترتيبات النهائية ؟

ـ ليس هناك تغييرات فى نظام الحراسة يا سيدى ، منذ أن انتقل السير فيليب الى دار وزارة الخارجية . لسوف يبقى فى مكتبــه بالوزارة طوال يوم الغد حتى الساعة الثامنة والنصف مســاء ، ثم يمضى الى دار البرلمان فى التاسعة حيث تتم القراءة الثانية للمشروع، ثم يعود الى الوزارة فى الحادية عشرة

وقال الحكمدار :

ـ لقد اصدرت الاوامر لتحويل خط سير المواصلات الى كورنيش النهر خلال الفترة بين الساعة التاسعة الا ربعا ، والساعة التاسعة والربع وكذلك تكون الحالة قبيل الحادية عشرة ، وسوف تنتقــل أربع مركبات مغلقة من دار وزارة الخارجية الى البرلمان ، ثم يتبعها السير فيليب فى سيارة مغلقة ، وبعد انفضاض الجلسة سيعود الى الوزارة بنفس الترتيب

وعندئذ سمع طرق على الباب ، ثم دخل احد السعـــاة يحمل بطاقة وضعها على مكتب الحكمدار . فقرأها هذا ثم قال :

ـ السنيور جوزى دى سيلفا ، حكمدار البوليس الاسبانى . دعه يتفضل بالدخول

واقبل السنيور جوزى دى سيلفا بجسمه الطويل النحيل ، وأنفه

جريمتهم ؟ أم نتظاهر بتخفيض الحراسة لكى نستدرج احدهم ونقبض عليه ثم نرغمه للاعتراف على زملائه ؟

فقال السير فيليب بحدة :

ـ هل تريد أن تجعلنى طعما لهذا الفخ ؟

فقال المفتش فى ضيق :

ـ ليس هذا ما اعنى بالضبط يا سيدى ، وانما نريد فقط ان نتيح لهؤلاءالناس فرصة ..

فقال الوزير فى شىء من الغضب :

ـ اننى أفهم ما تعنى تماما

واستطرد المفتش قائلا :

ـ لقد عرفنا الآن كيف هربوا القنبلة اللعينة الى مجلس النواب. فقد عرفنا مصادفة أن النائب باسكو العجوز ، لم يحضر الى دار البرلمان فى ذلك اليوم ، ولكن بعض الناس رآه وهو يمر بجوار قاعة التدخين . وهذا يعنى ان أحد هؤلاء الاربعة أو أحد شركائهم تنكر فى سمت النائب باسكو فى ذلك اليوم

فنهض السير فيليب وراح يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يقول فى اضطراب :

ـ بل ان هذا يعنى بوضوح أن هؤلاء الناس ، أولا أساتذة فى فن التنكر ، وثانيا ملمون الماما تاما بالحياة الاجتماعية والسياسية فى انجلترا

ـ وكذلك ملمون بتفصيلات الطرق والشوارع فى لندن . وهذا اخطر مافى الموضوع

فقطب الوزير جبينه وقال :

ـ ولكنك اكدت لى انه لا يوجد اى خطر يتهددنى ، فما معنى ما تقول الآن ؟

فحدجه المفتش بنظرة نفاذة وقال :

ـ أن الخطر الذى نخشاه أكثر من غيره هو قدرة هؤلاء المجرمين على التنكر بطريقة فذة ، مما اخرجهم من طائفة المجرمين العاديين ونحن لا ندرى على وجه التحديد ما هو الدور الذى سيقومون به ، ولكن أيا كان هذا الدور ، فانهم يقومون به فى براعة منقطعة النظير .

ولا شك أن أحدهم أستاذ فنان فى فن التنكر . وهو الرجل الذى اخاف منه .. اليوم

فضرب الوزير المكتب براحة يده وصاح قائلا :

ـ لقد مللت هذا كله . رجال مباحث ، ومخبرون ، ومتنكرون ، وقتلة بمقنعون ، حتى اصبح الموقف فى نظر العالم كله ، كمسرحية من نوع الدراما

ـ ينبغى أن تتذرع بالصبر يوما أو يومين

ثم أضاف قائلا :

ـ ونحن لم نتفق بعد على الخطة التى ستتبعها فى هذه الليلة

ـ يمكنك أن تفعل ما تريد . هل ستسمحون لى بالذهاب الى دار البرلمان الليلة ؟

ـ كلا ، فليس هذا فى البرنامج

فوقف الوزير مفكرا قليلا ثم قال

ـ أظن ان الترتيبات النهائية التى وضعتموها تعتبر سرية طبعا ؟

ـ على أكبر جانب من السرية

ـ ومن هم الذين يعرفونها ؟

ـ أربعة فقط : الحمكدار وأنا وأنت وسكرتيرك الخاص

ـ فقط ؟ !

ـ نعم . واذا كانت حمايتك تتوقف على سرية الترتيبات التى اتخذت فى هذا الشأن ، فيمكنك أن تطمئن تماما

ـ هل سجلتم هذه الترتيبات السرية كتابة ؟

ـ لا ياسيدى . ان الكتابة قد تكون منفذا لتسرب الخطة السرية ، ولهذا اقتصرنا على كتابتها فى أذهاننا . ان رئيس الوزراء نفسه لا يعرف شيئا عن هذه الترتيبات السرية للمحافظة عليك

فتنهد الوزير فى ارتياح وقال :

ـ هذا أفضل

ثم اردف قائلا حين رأى المفتش يهم بالنهوض والانصراف :

ـ وأنا واثق تماما أنكم تبذلون كل ما فى وسعكم لحمايتى

وقال المفتش :

ـ شكرا . نسوف امضى الآن لمقابلة الحكمدار . ولن اغيب أكثر

البارز ولحيته المدببة ، وبعد أن حيـــا الحكمدار والمفتش بطريقة مهذبة مبالغ فيها على الطريقة الاسبانية ، قال الحكمدار الانجليزى وهو يصافحه بحرارة :

ــ اننا آسفون لاستدعائك الينا . فقد خطر لنا انه قد يكون فى امكانك مساعدتنا فى هذا الموقف العصيب بكل ما تعرفه عن تيرى ، والبحث عنه

ــ من حسن الحظ انى كنت فى باريس . نعم اعرف الشىء الكثير عن ميجويل تيرى ، وانى لمدهوش اذا علمت انه أحد هؤلاء المنصفين الاربعة . انه مجرم عادى من النوع الحقـــــير . اما هؤلاء الاربعة المنصفون فقد سمعت عنهم طبعا . فان حادث « ملفا » الذى ادهش العالم ، كانوا هم المدبرين له . وما كان يخطر ببالى يوما أن تيرى ، احدهم ، وانى لمذهول حقا ان ينضم الى مثل هذه الجماعة المتحيزة

ونظر الحكمدار فى سجل امامه ثم قال :

ــ وبهذه المناسبة ، ما هى وظيفة او مهنة تيرى ؟ فقد سهى على رجالك ان يذكروا ذلك وان كان لا أهمية كبيرة لذلك على كل حال

فقطب الاسبانى حاجبيه وقال :

ــ آه تيرى ؟ مهنته ؟ اننى لا اتذكر على وجه التحديد ، ولكننى اعرف ان لها علاقة بصناعة المطاط ، وكانت أول جريمة ارتكبها هى سرقة مطاط ولكن اذا كنت تريد أن تعرف مهنته على وجه التحديد ، فمن الممكن . . .

وضحك الحمكدار قائلا :

ــ لا لا . ليس لهذه المسألة اهمية كبيرة !!



الفصــل الثــامــن

الرسالة الإنسانية للأربعة المنصفين

كان هناك انذار اخير يجب أن يسلم للســير فيليب رامون ، ذلك ان الانذار قبل الاخير الذى وصل اليه كان صريحا فى هذ الشــأن . لقد ورد فيه . « .. لسوف تتلقى انذارا اخيرا ، ولكى تتأكد اننا لسنا هازلين فى تهديدنا لك ، فسوف نسلمك الانذار الاخــير يدا بيد . نعم ، سيسلمه اليك واحد منا »

والعجيب أن هــذه الفقرة ملأت قلوب رجال البوليس بالأمن والاطمئنان ، وخففت حدة التوتر التى عانوها جميعا منذ بدأت هذه الاحداث . ذلك انهم أصبحوا يثقون ثقة تامة فى صدق وعد هــؤلاء الاربعة المنصفين . فلو انهم كانوا مجرمين عاديين ، لما كلفوا انفسهم ارسال هــذه الانذارات ، ولوجهوا ضربتهــم الى الســير فيليب بطريقة غادرة . ولقد كان اخلاص هؤلاء الاربعة وشرفهم من الميزات الرهيبة المخيفة التى يتميزون بها

وجملة رأى رجال البوليس أن هؤلاء الاربعة المنصفين اذا فشلوا فى تسليم الانذار الاخير ، فلن ينفذوا حكمهم فى السير فيليب . وكان تسليم الانذار بيد واحد منهم فى حكم المستحيل ، وكان الانذار الذى يحمل هذه الفقرة ، هو الذى تحدث عنه السير فيليب باستهتــار مع سكرتيره الخاص . وكان قد وصل اليه ظهرا يحمل خاتم بريد « بلهام » الساعة الثانية عشرة والربع

وقال المفتش فالموث للســير فيليب رامون الذى كان متهالكا فى أعماق معقدة بمكتبه الخاص بوزارة الخارجية :

ــ السؤال المهم الان هو :هل نضاعف الحراسة عليك حتى يعجز هؤلاء الرجال عن تسليم انذارهم الاخير ، وبذلك يتوقفون عن تنفيذ

من نصف ساعة . وأرجو فى خلال هذه الفترة أن تبقى فى مكتبك هذا ولا تغادره لاى سبب

وصحبه السير فيليب الى غرفة الانتظار الملحقة بالمكتب حيث كان هاملتون سكرتيره الخاص جالسا الى مكتبه

وقال المفتش فالموث ، بينما كان أحد رجاله يقترب منه بمعطف طويل وراح يساعده على ارتدائه :

ـ اننى أشعر باحساس خفى أن هناك من يراقبنى ويتتبعنى فى خلال اليومين السابقين ، ولهذا السبب فانى أستخدم سيارة فى تنقلاتى من مكان الى آخر ، وذلك لكى يعجزوا عن تعقبى دون أن يلفتوا اليهم الانظار

ودس يده فى جيب المعطف الطويل وتناول نظارة شمس كبيرة من النوع الذى يستعمله سائقو الدراجات البخارية ، ثم قال وهو يضحك للسير فيليب :

ـ هذه النظارة الكبيرة السوداء هى اداة التنكر الوحيدة التى احاول ان أضلل بها اصحابنا المجهولين . ولعل هذه هى المرة الاولى التى العب فيها دور المخبر المسرحى الاحمق ، بعد خدمة عشرين سنة

وبعد انصراف المفتش فالموث ، عاد السير فيليب الى مكتبه وهو فى حالة شديدة من القلق

لقد كان يشعر بالخوف وهو جالس بمفرده فى غرفة المكتب الفسيحة رغم علمه بأن عشرات المخبرين والحراس متفرقون فى أنحاء الدار وفى خارجها . لقد كان الفزع من هؤلاء الاربعة جاثما على ذهنه وقلبه ، حتى اصبح يفزع من أية حركة

وفيما هو غارق فى أفكاره ، اذ سمع نقرا خفيفا على الباب ، ثم اذا بالمفتش فالموث يدخل ، فيقول له الوزير :

ـ هه ؟ اراك عدت مسرعا يا فالموث ؟

فتناول المفتش من جيبه مظروفا مغلقا ووضعه على مكتب الوزير وقال وهو يمسح الغبار عن شاربه بمنديله :

ـ ان فى هذا المظروف أوراقا هامة شديدة الخطر على اذا عثر بها أحد معى الان . وأنا لا آمن على نفسى من الاحداث فى الوقت الحاضر

ـ وماذا تريد مني أن أفعل بها ؟

ـ ارجوك أن تحتفظ بها في درجك حتى أعود

ثم غادر الغرفة ، وأغلق الباب وراءه ، ورد بايماءة على تحيــة السكرتير له ، ورد على تحية المخبر السري الواقف بالباب بمثلهـا ، ثم مضى الى السيارة التي كانت في انتظاره

ونظر السير فيليب الى المظروف في حيرة وقلق . وكان مكتوبا عليه « سري جدا ـ ادارة اسكتلانديارد »

وقال لنفسه في غضب :

« من يدري ؟ لعل هذا المظروف يحتوي على تفاصيل الترتيبات السرية الموضوعة لحراستي وهــــذا يعني أن فالموث لا يستطيع الاحتفاظ بها في ذهنه »

ثم وضع المظروف في الدرج ، وتناول بعض الاوراق الخاصــة بمشروع قانون اللاجئين السياسيين ، وشرع يطلع عليها وهو موقن بأن الموافقة على هذا القانون سوف تتم غدا ، بأغلبية ساحقة ، سواء ذهب بنفسه الى دار البرلمان ، او بقي في مكتبه حتى يفوتالفرصة على الراغبين في قتله

وإز التليفون بجانب يده ، وكان السير فيليب ، كما سبق القول ، يضع في تليفونه جرسا يصدر أزيزا خافتــا ، لا رنينا عاليا ، لانه لا يطيق سماع الرنين العالي للتليفون . ورفع السماعة ، فسمــع صوت كبير الخــدم في قصر بورتلاند يقول له أنه اتخــذ جميــع الترتيبات لاخلاء القصر من الخدم لمدة ثلاثة أيام حسب التعليمات

وكان السير فيليب قد قرر اخلاء قصره بورتلاند بالآس حتى يجنب خدمه خطر المـــوت ، ذلك أن الارهابيين اذا كانوا ينوون استخدام القنابل في ضرب دار وزارة الخارجية ، فلا شك أنهم سيتخذون مثل هذه الوسيلة في قصره ، لانهم لا يعرفون الآن ما اذا كان مقيما في قصره أم في وزارة الخارجية

ووضع السماع في نفس الوقت الذي دخــل فيه المفتش فالموث وهو يقول في قلق ولهفة :

ـ الم يحدث شيء يا سيدي ؟ ألم يأت أحد ؟ !

فابتسم السير فيليب وقال :

ـ اذا كنت تعنى أن احد الرجال الاربعة قد جاء ليسلمنى الانذار الاخير ، فيمكنك ان تطمئن من هذه الناحية !

فتنهد المفتش فى ارتياح وقال فى حماس شديد :

ـ حمدا لله . لقد خامرنى خوف شديد من أن ينتهز هؤلاء الابالسة فرصة غيابى ويرسلوا أحدهم متنكرا لتسليمك الانذار الاخير

ثم أردف قائلا :

ـ ان لدى أخبارا لك يا سيدى

ـ احقا ؟

ـ نعم . لقد تلقى الحكمدار برقية مطولة من البوليس الامريكى بخصوص هؤلاء الاربعة المنصفين هذا نصها :

« حذروا السير فيليب رامون ان هؤلاء الاربعة المنصفين لا يهزلون أو يتراجعون عن هدف معين . انهم اذا هددوا أشخاصا ما بالقتل فى موعد معين ، فانهم ينفذون تهديدهم ولو انطبقت السماء على الارض ، لقد جربنا هذا منهم مرتين ، وقد تغلبوا علينا وحققوا اغراضهم رغم جميع الاحتياطات التى بذلناها لحماية الاشخاص المهددين منهم . وكل ما ننصح به فى هذا السبيل ، هو تحذير رامون من : شرب القهوة حتى ينتهى موعد الانذار ، ومن فتح أية رسالة أو طرد ، أو من استعمال أى نوع من الصابون الا اذا اشتراه من متجر موثوق به ، أو من الجلوس فى اية غرفة لا يكون بها احد من رجال البوليس المعروفين ، المسلحين . وعليكم أن تفحصوا الجدران بدقة ، والطابق الارضى ، وجدران البيوت المجاورة خشية أن يكون الارهابيون قد صنعوا نفقا أرضيا للوصول الى رامون ، لقد ارسلنا اثنين من رجالنا على الباخرة لوكانيا للمعاونة »

وقال المفتش فالموث بعد أن فرغ من قراءة البرقية :

ـ اخشى أن يصلا متأخرين !

ـ اذن فأنت تعتقد اننى . .

ـ انك معرض للخطر اذا قمت بشىء مما حذرك منه حكمدار بوليس نيويورك واعتقد ان تحذيراته لها قيمتها ووزنها ، وهذا ما جعلنى أضع اهمية كبيرة فى هذه البرقية

وهنا سمع الاثنان نقرا حادا على باب المكتب ، ثم اذا هاملتون السكرتير الخاص يدخل هاتفا وهو يلوح بملحق لصحيفة الميجافون :

ـ انظر الى هذا ! لقد أعترف المنصفون بفشلهم اخيرا !

فصاح المفتش وهو يختطف الصحيفة من يد السكرتير :

ـ ماذا ؟

وسأل السير فيليب بحدة :

ـ مامعنى هذا كله ؟

ـ معناه ياسيدى أن هؤلاء الابالسة قد نشروا مقالا ، كما يبدو فى هذه الصحيفة يوضحون فيه أهدافهم ورسالتهم فى الحياة

ـ فى أية صحيفة ؟

ـ الميجافون . ويلوح أن رئيس التحرير طلب من الرجل المقنع الذى هاجم مكتبه لاستخلاص تيرى ، أن يكتب له مقالة عن رسالة « المنصفين الاربعة » ويبدو انه بر بوعده ، ولكن المهم هو أنهم أعترفوا فى سياق المقالة بفشلهم معك

وقال المفتش وهو يجرى بنظراته على المقالة المعنونة « رسالة وهدف الاربعة المنصفين » :

ـ اين هى الفقرة التى يعترفون فيها بفشلهم ؟

ـ انها فى وسط هذا العمود ، لقد وضعت عليها علامة بالقلم ، هنا . . وشرع المفتش يقرأ مايلى :

« . . . . ونحن لا نترك شيئا للظروف أو المصادفة فاذا حدث اقل خطأ واذا عجزنا عن تحقيق اى وعد او انذار ، فنحن نعترف فورا بالفشل ، وقد بلغ من ثقتنا بأنفسنا اننا لا نعترف بأية قوة فى الارض يمكن ان تحول بيننا وبين تنفيذ احكامنا ، ونحن لا نصدر هذه الاحكام الا بعد ان نتأكد تماما من عدالتها ، والا بعد أن نتيح أكثر من فرصة ليرجع غريمنا عن الطريق الملتوى الذى يسير فيه . ومن ثم فاننا نعرض أنفسنا لاخطار شديدة كان يمكننا أن نتجنبها لو لجأنا الى طريقة القتل غدرا ، ولكننا لسنا قتلة ولا سفاكين ولا ارهابيين ، وانما نحن ، كما نؤمن فى قرارة انفسنا ، أداة لتنفيذ عدالة السماء ، بعد أن تعجز عدالة الارض عن القصاص من المذنبين . ولهذا السبب فاننا نتخذ كل ما يمكن من اجراءات لازمة

للتأكد من نجاح اعمالنا . والدليل على هـذا ، اننا أخطرنا السير فيليب رامون بأن الانذار الاخير الذى سنوجهه اليه ، سوف يتسلمه يدا بيد من احدنا . وهذا ماقمنا به فعلا رغم جميع الاجراءات التى اتخذها رجال البوليس لحمايته ، فعندما يقرأ الجميع مقالنا هذا ، يكون السير فيليب قد تسلم الانذار النهائى بيد واحد منا ، وقد كان فى مقدور هذا الواحد أن يقتل السير فيليب وهو يسلمه الانذار ، ولكننا لازلنا نامل أن يرجع الوزير عن تقـــديم مشروع قانون اللاجئين السياسيين الى البرلمان ، وان يتعهد بشرفه أن يبذل كل جهد ممكن للقضاء على هذا القانون المجحف نهائيا ، أما اذا ركب رأسه ، فانه سيموت على أيدينا فى الموعد المحدد تماما ، اى فى تمام الساعة الثامنة من مساء الغد ، واخيرا نقول لو أننـــا فشلنا فى تسليمه الانذار الاخير ، قبل الثامنة من مساء اليوم لما حاولنا أبدا ان ننفذ تهديدنا بقتله ، ولاعترفنا بالفشل التام فى هذه المهمة . . »

وتوقف المفتش عن القـراءة وقـد ارتسمت على وجهه امارات خيبة الامل ، ثم قال للسكرتير :

ــ ظننت انك جئت لنا بشىء جديد ، لقد قرانا هذا الملحق الذى ارسل الى اسكتلانديارد بمجرد خروجه من المطبعة !

فهتف السكرتير قائلا :

ــ ولكن ، الا ترى ياسيدى ؟ الا تدرك المعنى الواضح فى هـــذه الفقرة ؟ لقد صرحوا بأنهم سيعترفون بفشلهم تماما اذا عجزوا عن تسليم الانذار الاخير يدا بيد للسير فيليب ، وهذا ما حدث فعلا ، انهم لم يسلموه هذا الانذار ، انظر الى ساعتك

واخرج المفتش ساعته بسرعة ونظر فيها ، ثم صفر مندهشا وقال :

ــ انها الثامنة والنصف الان . عجبا !

وخيم الصمت برهة على الجميع ، واخيرا قال السير فيليب :

ــ أيمكن أن يكون هـــذا فخا لخداعنا واستدراجنا لتخفيف اجراءات حمايتى ؟

فقال المفتش ببطء :

ــ لا أعتقد هذا يا سيدى ، ونحن لسنا من البلاهة بحيث نقع فى

مثل هذا النفخ الساذج ، ولكننى شديد الثقة بأمانة هؤلاء الناس ، ولست أدرى لماذا اثق فى أمانتهم الى هذا الحد . لقد عاملت المجرمين عشرين عاما ، ولم أستطع يوما ان اثق فى وعد أحدهم ، ولـــكن هؤلاء الاربعة يختلفون فى رأيى عن غيرهم ، ولهذا اعتقد تماما انهم اذا عجزوا عن تسليمك الانذار الاخير ، فانهم سينفضون ايديهم من الامر كله

وراح السير فيليب يذرع الغرفة جيئة وذهابا وهو يقول :

ـ اتمنى ان تكون لى فيهم مثل هذه الثقة !

ونقر أحد الحراس على الباب ، ثم فتحه وقال :

ـ هذه برقية عاجلة للسير فيليب

ولما مد الوزير يده ليأخذها ، منعـــه المفتش ، واسرع المفتش واخذها بدلا منه وهو يقول :

ـ لاتنس تحذيرات حكمدار البوليس الامريكى

ثم فض البرقية وقرأ فيها مايلى :

« تسلمنا الآن من مكتب برقيات شيرنج كروس برقية من الاربعة المنصفين يقولون فيها انهم سلموا الانذار الاخير للسير فيليب رامون يدا بيد ، فهل حدث هذا حقا ؟ « محرر الميجافون »

وقال فالموث فى دهشة وحيرة :

ـ مامعنى هذا ؟

فأجاب السير فيليب عليه فى سخرية :

ـ معناه ياعزيزى فالموث أن اصحابك الشرفاء الاربعة كاذبون ومخادعون ، وقتلة سفاكون ايضا ، وانا ارجو بعد هذا أن تخفف من ثقتك التامة فى امانتهم

واربد وجه المفتش ، وعض شفته فى حنق وحيرة ثم قال :

ـ ألم يدخل عليك احد بعد انصرافى عنك ؟

ـ لا . أبدا !

ـ ألم تر احدا اطلاقا غيرى وغير سكرتيرك فى النصف ساعة الماضية ؟

ـ لم أر أحدا غيركما ، ولم اتحدث مع أحد ابدا غيركما

ـ عجبا

قالها المفتش كأنما يحدث نفسه ، ثم استدار لينصرف من الغرفة وعندئذ تذكر السير فيليب المظروف الذى كان المفتش قد سلمه اليه عندما عاد اليه أول مرة ، فقال وهو يفتح درج مكتبه ويتناول المظروف :

ـ يحسن ان تأخذ معك مظروف اوراقك الخطيرة

فتناول المفتش المظروف وقال بصوت كله الاندهاش والعجب :

ـ ما هذا ؟

ـ يبدو أن الصدمة الناشئة من خيبة أملك فى اصحابك الاربعة قد اذهلتك . ولهذا يجدر بى أن اطلب من الحكمدار ان يعين لحراستى رجلا أقدر على تعرف نفسية المجرمين وعلى التعامل معهم

فقال المفتش بهدوء :

ـ ان من حقك يا سيدى أن تطالب بمن تريد لحراستك ، ولكن هذا لا يمنع من القول بانى اديت واجبى بضمير مستريح ، وبأنى لا اقبل ان ينتقد احد أعمالى الا ضميرى . ولكن المهم الآن هو ماذا تعنى بقولك اننى تركت هذا المظروف لديك ؟

فحملق الوزير فى وجه المفتش فى استنكار ثم قال بخشونة :

ـ انه المظروف الذى عدت بعد انصرافك بلحظات لتتركه وديعة عندى

فقال المفتش وهو يضغط على كل كلمة :

ـ اننى ، لم أعد بعد انصرافى بلحظات . وبالتالى لم اترك لديك شيئا

ثم تناول المظروف وفضه بسرعة والقى على الاسطر القليلة المكتوبة فى ورقة بداخله نظرة سريعة ، ثم صاح قائلا :

ـ انه الانذار الاخير من الرجال الاربعة

وترنح الوزير متراجعا الى مكتبه وقد شحب وجهه بقوة وقال :

ـ والرجل الذى سلمه الى ؟

فقال المفتش فى تجهم :

ـ واحد منهم بلا شك . لقد بروا بعهدهم رغم كل شىء

وأسرع المفتش وفتح الباب ، واستدعى الحارس الذى كان مكلفا بحراسة مدخل غرفة الانتظار وقال له :

ــ هل رأيتني وأنا انصرف من هذه الغرفة ؟
ــ نعم ، فى كلتا المرتين
فقال المفتش بمرارة :
ــ كلتا المرتين ؟ وكيف كنت ابدو فى المرة الثانية ؟
فتمتم الحارس مندهشا :
ــ كالمعتاد يا سيدى
ــ ماذا كنت أرتدى ؟
ــ معطفك الطويل الذى تركب به السيارة ليحمى ملابسك من الغبار
ــ وطبعا كنت اضع النظارة الكبيرة السوداء على عينى ؟
ــ نعم يا سيدى
ــ هذا ما خطر لى
ثم اندفع يعدو الى الحراس الواقفين فى بهو المدخل، وكانوا ستة ، وقال لرئيسهم :
ــ هل تذكر انصرافى من هنا منذ نصف ساعة ؟
ــ نعم . فى كلتا المرتين يا سيدى
ــ اللعنة على « كلتا المرتين » . ما هى الفترة بين انصرافى اول مرة وعودتى ؟
فقال الضابط المندهش :
ــ نحو خمس دقائق
ــ وهل عدت فى سيارتى ؟
ــ نعم يا سيدى
فقال المفتش وقد بدأ الامل يراوده :
ــ هل لاحظت رقم السيارة ؟
ــ نعم
وكاد المفتش يعانق الضابط اعجابا ، ثم قال :
ــ وما هو ؟
ــ ١٧١٦٤ ــ أ
وسجل المفتش الرقم على ورقة ، ثم استدعى احد رجاله وسلمها اليه قائلا :

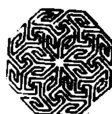
ـ جاكسون . اذهب الى اسكتلانديارد ، وبعد ان تعرف من هو صاحب هـذه السيارة ، اذهب اليه ، ودعه يشرح لك حركاته ، ويمكنك ان تقوده الى ادارة الامن العام اذا اضطررت الى ذلك

واندفع المفتش عائدا الى السير فيليب ، فوجده يذرع غرفة مكتبه جيئة وذهابا وهو اشد ما يكون انفعالا واهتياجا . وقال له :

ـ ان واحدا من الاربعة الابالسة قد تنكر فى شخصيتى وسلمك الانذار الاخير . لقد عرف كيف يختار الوقت المناسب ببراعة عجيبة ، بل عرف كيف يخدع رجالى بمنظره وطريقة سيره . وقد استخدموا سيارة شبيهة بسيارتى تماما . وهناك امل اخير فى ان نعرف صاحب هذه السيارة

وفى تلك اللحظة ، اقبل احد رجاله وادى التحية وقال :

ـ لقد اتصل المفتش جاكسون من ادارة الامن العام تليفونيا وقال ان رقم السيارة ١ ـ ١٧١٤٦ هو رقم سيارتك يا سيدى



الفصل التاسع

النشال بيلى

كان الانذار الاخير كما يلى :

« لسوف نتيح لك الفرصة حتى السادسة من مساء الغد ، فاذا لم تعلن فى صحف بعد ظهر الغد انك سحبت مشروع قانون اللاجئين السياسيين من البرلمان ، وأنك تتعهد بشرفك للعمل على عدم صدور قانون مماثل ، فسوف نضطر الى تنفيذ حكمنا عليك . لسوف تموت عندئذ فى تمام الساعة الثامنة من مساء الغد . ونحن نرفق بهذا تفاصيل الخطة الكاملة التى وضعها رجال البوليس لحمايتك غدا ، وذلك حتى تتأكد اننا غير هازلين »

امضاء « الاربعة المنصفون »

وبعد أن قرأ السير فيليب الانذار وتفاصيل الخطة المرفقة به ، قال بوجه شديد الشحوب :

ــ ان هناك ثغرة تتسرب منها أسرار البوليس

فقال المفتش فالموث بثبات :

ــ ان هذه الاسرار الخاصة بخطة حمايتك لا يعرفها غير أربعة كما قلت :

الحكمدار ، وانا ، وانت ، وسكرتيرك الخاص . وانا مستعد ان أراهن بحياتى ان تسرب أسرارها ليس عن طريقى او طريق الحكمدار

فقال السكرتير الخاص بلهجة تأكيد :

ــ ولا عن طريقى انا أيضا

فهز السير فيليب كتفيه وقال :

ــ ما قيمة هذا الآن بعد ان عرفوا ؟ اننى لا أدرى اية وسيلة شيطانية هذه التى استطاعوا بها ان يعرفوا سر هذه الخطة . ولكن

المهم الآن هو : هل سيمكن لرجال البوليس أن يحمونى من الموت حتى الى ما بعد الثامنة من مساء الغد ؟

فعض المفتش فالموث على نواجذه وقال وبريق الحزم يتألق فى عينيه

ــ اما أن تخرج من هذه المحنة سليما معافى ، أو أن أموت معك يا سيدى



كانت أخبار الانذار الاخير الى السير فيليب بين يدى رجل الشارع فى تمام الساعة التاسعة مساء . وما هى غير ساعة اخرى حتى انتشرت بين جميع طبقات المجتمع فى النوادى والمشارب والمسارح ودور السينما ، وبين أولئك الرجال المكتئبى الوجوه الذين وقعت على كواهلهم أعباء حراسة الوزير . أما دار البرلمان فكان يغلى بالانفعال والاهتياج ، وكان أعضاؤه يتحدثون فى حلقات ويلوحون بأيديهم ويتمنون جميعا لو أن وزير الخارجية يحضر جلسة البرلمان فى هذه الليلة

وعند انعقاد الجلسة ، قام أحد الاعضاء ووجه السؤال التالى الى رئيس الوزراء :

ــ هل يمكن أن أسأل صاحب الفخامة رئيس مجلس الوزراء ما اذا كانت الحكومة لا تزال عاقدة العزم على الاستمرار فى اصدار قانون اللاجئين السياسيين ، وما اذا كان من الانسب ، بمناسبة الظروف الطارئة ، تأجيل النظر فى مشروع هذا القانون الى دورة اخرى ؟

وقوبل السؤال بهتاف اجماعى من الاعضاء :

ــ اسمعوا . اسمعوا

ونهض رئيس الوزراء ببطء ، وطاف بنظراته على وجوه أعضاء المجلس ، ثم ركز نظراته على موجه السؤال ، ثم قال :

ــ اننى لا أعلم شيئا عن هذه الظروف الطارئة التى يشير اليها حضرة العضو المحترم ، والتى تمنع صديقنا وزير الخارجية من الحضور غدا مساء للاشراف على عملية أخذ الاصوات والموافقة على المشروع

وقال أحد أعضاء الحزب (الراديكالى) :

ــ اليس هناك اى احتمال فى ان يسحب السير فيليب رامون مشروع القانون ؟

ورد رئيس الوزراء قائلا :

ــ لا . ليس هناك أى احتمال من هذا النوع

وسرعان ما بدأ اعضاء البرلمان فى الانصراف بعد انفضاض الجلسة

وفى فناء قصر وزارة الخارجية ، وفى الشوارع المحيطة به احتشد عدد كبير من اهالى لندن ــ كالمعتاد فى مثل هذه الاحوال ــ لاختلاس نظرة الى الرجل الذى أصبح اسمه على كل لسان

وكان الباعة الجائلون يبيعون صوره فى أوضاع مختلفة ، منهـا صـورة له وهو يتحـدى اربعة رجال صـارمى الوجوه ، ملتهبى النظرات . وكان مطربو الشوارع يستغلون هذه الفرصة ويرددون اغنيات شعبية التلحين بعد ان أعادوا نظمها لتلائم هذه المناسبة . وكانوا ، بطبيعة الحال يتغنون بشجاعة الوزير الجرىء ، ويشيدون بقوة ارادته ، وصلابة عزيمته . وكان هناك المداحون الذين يترنمون برغبة السير فيليب فى منع أولئك الاجانب من اختطاف لقمة العيش من أيدى المواطنين البؤساء

وكان هذا كله يستهوى مانفريد ويثير مرحه ، ويرسم الابتسام على شفتيه وهو يسير بجانب بواكارت على كورنيش نهر التايمز بعد أن هبطا من مركبة مأجورة وصرفاها

وقال مانفريد ضاحكا وهما يسيران فى اتجاه هوايت هول :

ــ أعتقد أن الانشودة التى تقول ان « الاجانب الارهابيين ينتزعون لقمة العيش من أفواه الناس » انشودة جيدة !

وكان الاثنان يرتديان ملابس السهرة ، وبواكارت يضع فى عروة سترته شارة وسام جوقة الشرف الفرنسى

واستطرد مانفريد قائلا :

ــ لا اظن أن لندن شهدت فى تاريخها حادثا مثيرا كالذى تعيش فيه الآن

وابتسم بواكارت وقال :

ــ هذا هو رأيى كذلك

وكانا يعبران طريق هوايت هول الذى تقع فى جانب منـه ادارة اسكتلانديارد . وكان ثمة رجل يسير محنى الرأس ، يضع يديه فى جيبيه ، فلما عبرا الطريق ، تلفت حوله بسرعة ، ثم سار وراءهما وعند تقاطع شارع كوكسبار ، توقف مانفريد وبواكارت بين عدد كبير من المارة فى انتظار الفرصـة المناسبة لعبور الشارع . وكان طبيعيا أن يتعرضا لبعض الاحتكاك والمزاحمة من المارة قبـل ان يتمكنا اخيرا من عبور الطريق

والقى بواكارت بعقب سيجاره ، ووضع يده فى جيب معطفـه ليتناول سيجارا آخر ، وفجأة صفر بشفتيه ليستوقف مركبـة مأجورة كانت تمر أمامهما فى تلك اللحظـة ، فنظر اليـه مانفريد مندهشا وقال :

ــ ماذا حـدث ؟ لقد ظننتك تريد أن نتمشى حتى نصـل الى المسرح الملكى

ولم يقل بواكارت شيئا حتى استقل مع صاحبه المركبة وطلب من السائق أن يتجه بهما الى محطـة بيكر ستريت . وأخيرا قال بصوت هامس :

ــ لقد سرقنى احد النشالين . سرق ساعتى ، ولا أهمية لهذا ، ولكن المهم أن المفكرة التى رسمت فيها الخطة لتيرى قد سرقت ايضا . وهذا هو وجه الخطر

ــ لعل النشال لص عادى لا يفهم شيئا عن رموز المفكرة ؟

ــ نعم . ربما يكون هذا ، وربما يكتفى بالساعة ويلقى بالمفكرة فى الطريق . ولكنه قد يكون مخبراً بوليسيا ايضا

فقال مانفريد فى قلق :

ــ هل فى المفكرة ما يدل على شخصيتك ؟

ــ لا . أبدا . ولكن ما لم يكن رجال البوليس أغبياء جدا ، فانهم سيدركون معنى الاحصائيات والتعليمات . انها قد لا تصـل الى ايديهم أبدا . ولكن اذا وصلت الى أيديهم واستطاع اللص ان يتعرف علينا ، فاننا نصبح فى مأزق

وتوقفت المركبة عند محطة بيكر ستريت ، وهبط منها الرجلان ، وقال بواكارت :

ـ لسوف امضى شرقا ، وغدا صباحا نلتقى . وفى خلال هـــذه الفترة سأراقب ادارة اسكتلانديارد لاعرف هل وقعت المفكرة فى ايدى رجالها ام لا . طابت ليلتك !

ولم يدر حديث بين الرجلين بعد هذه الكلمة



لو لم يكن بيلى ، النشال ، منتشيا بالخمر فى تلك الليلة ، لاكتفى بغنائمه وعاد الى مسكنه فى أمان . ولكن الخمر التى تملأ رءوس شاربيها عادة بالثقة الجوفاء والجرأة الحمقاء ، أوحت اليـــه بانها خطيئة كبرى أن يهمل هذه الفرصة التى أتاحتها له السماء فى تلك الايام . ذلك أن الاحداث المثيرة التى خلقها الاربعة المنصفون وجعلت معظم سكان لندن يحتشدون فى المنطقة المحيطة بوستمنستر ، هيأت الفرص الذهبية لامثال بيلى فى النشل والسرقة

ولما كان الليل لم يزل فى أوله ، فقد قرر ان يستأنف نشاطه مع ركاب الترام

واستطاع أن ينشل كيس نقود سيدة بدينة ، وساعة من سيد فى ملابس السهرة ، ومرآة أنيقة من حقيبة يد سيدة شابة ، ثم قرر أن يختتم عملياته باستكشاف محتويات جيب سيدة أنيقة ، وتكللت العملية الاخيرة بالنجاح ، فخرج منها بكيس نقود ومنديل حريرى مطرز الحواشى . وعندئذ فقط سمع صوتا رقيقا يقول بجانب اذنه :

ـ هاللو بيلى

وعرف الصوت ، وشعر فورا بألم فى صـــدره ، ولكنـــه تمالك اعصابه وقال فى بهجة مصطنعة :

ـ هاللو يا مستر هوارد ! كيف حالك ياسيدى ؟ سعيد برؤيتك هنا !

وقال المستر هوارد وهو يتنـــاول ذراع بيلى فى ذراعـــه بمودة ويمضى بجانبه :

ـ الى اين يا بيلى ؟

ـ الى البيت طبعا

ـ الى البيت يا بيلى ؟ البيت الجميل المريح اللطيف يا بيلى ؟

ثم استدعى هوارد شابا يلوح انه يعرفه وقال له :

ـ اسمع يا بورتار . اذهب الى مركبة الترام هذه واسأل ركابها هل فقد احدهم شيئا ؟ فاذا وجدت من فقد شيئا فهاته معك

ثم اردف قائلا وهو لا يزال آخذاً ذراع بيلى في ذراعه :

ـ الآن يا بيلى ، كيف حال الدنيا معك ؟

فقال بيلى فى قلق :

ـ اسمع يا مستر هوارد . ماذا حدث ؟ الى أين تمضى بى ؟

ـ انها لعبة قديمة يا بيلى ! انها نفس اللعبة التى تعرفها منذ أمد بعيد ، وانا سأصحبك الى نفس المكان اللطيف الذى تعرفه !

فقال بيلى بشراسة وهو يلقى بشىء ـ خفية ـ على الارض :

ـ لقد اخطأت التقدير هذه المرة يا ريس !

ولكن هوارد لحظ الحركة السريعة ، فانحنى والتقط الكيس الذى أسقطه بيلى

وفى مركز البوليس تظاهر الجاويش المنوب الجالس الى مكتبه بالابتهاج لرؤية بيلى والترحيب به ، وكذلك فعل السجان الذى دفع به الى الزنزانة أو قال له متظاهرا بالصداقة :

ـ ساعة ذهبيـــــة ونصف سلسلة ذهبية وثلاثة أكياس نقود ومنديلان مطرزان ومفكرة ذات غلاف من الجلد المراكشى

وأومأ الجاويش براسه وقال لبيلى :

ـ محصول طيب فى هذا اليوم يا بيلى !

وقال بيلى فى قلق للمخبر هوارد الذى كان يرتدى الملابس المدنية :

ـ ما هى العقوبة فى هذه المرة يا ريس ؟

ـ تسعة اشهر

فهتف بيلى فى فزع :

ـ لماذا ؟ لماذا ؟

ـ لانك لص ونشال ومجرم حقير يا بيلى ، وهذه هى المرة الثامنة التى نقبض فيها عليك متلبسا بالجريمة

فصاح اللص قبل أن يغلق السجان عليه باب الزنزانة :

ـ هذا ما تبرعون فيه ! انكم لا تظهرون براعتكم الا على بائس مثلى ، ولو كنتم بارعين حقا ، لعرفتم كيف تقبضون على الاربعـــة المنصفين الذين جعلوكم اضحوكة العالم

وفى مكتب الجاويش ، جلس المخبر هوارد مع الجاويش يفحصان المسروقات ويعرضانها على أصحابها الثلاثة الذين جاء بهم المخبر بورتار من مركبة الترام

وبعد الفراغ من هذه العملية وانصراف الجميع ، قال الجاويش لهوارد :

ــ لم يبق لدينا من المسروقات غير هذه الساعة الذهبية والمفكرة الانيقة . والساعة من طراز اليجين « رقم ٥٠٢٩٠٢٠ » ، وليس فى المفكرة أوراق ولا بطاقات ولا عنوان . وانما ثلاث صفحات مكتوبة فقط بكلمات وأرقام وعبارات لا أفهم لها معنى

وتناول هوارد المفكرة ، وقرأ تلك العبارات والكلمات ، فاذا فى الصفحة الاولى قائمة بأسماء عدد من الشوارع المعينة ، أمام كل اسم شارع علامات رمزية وخطوط واشارات . وفى الصفحة الثانية أرقام غامضة لا تكشف عن شيء . اما الصفحة الثالثة ، فكانت بها أسطر مقروءة ولكنها مكتوبة بسرعة مما جعل هوارد يقول :

ــ يبدو أن الشخص الذى كتب هذه الاسطر كان متعجلا يريد أن يلحق بقطار أو بشيء من هذا القبيل ، لان معظم الكلمات مكتوبة بايجاز واختصار كالاتى :

« لن يترك د . س الا الى هـ س . ثم يعود الى مقره فى س . تسبقه اربع مركبات . فى الساعة الثامنة والنصف تتحول خطوط المواصلات الى كورنيش النهر . أكثر من مائتى رجل داخل و.س. واحد فى كل غر ، وثلاثة فى كل رد ، وستة فى البدر ، وستة فوق سطح ، جميع الرجال يحملون مس ، لا يسمح لاحد أن يقابل الا ف . ، هـ . اذا لزم الامر ، فرقة الحرس رهن الاشارة »

وقرأ الجاويش هذه الفقرة ببطء ثم قال :

ــ ما معنى هذا بحق السماء ؟

وفى هذه اللحظة استحق المخبر هوارد الترقية التى ظفر بها بعد اسبوع وذلك حين قال :

ــ دع هذه المفكرة معى لمدة عشر دقائق

فسلمها الجاويش اليه فى ذهول ، وعاد هوارد يقول :

ـ اظن انى أستطيع ان أجد لهذه المفكرة صاحبا

ثم وضع قبعته على راسه ، واندفع الى الخارج

ولم يتوقف عن الجرى حتى وصل الى الطريق العام ، فاستقل مركبة ماجورة ، وطلب من السائق ان يسرع به الى هوايت هول ، وما هى الا دقائق معدودة حتى كان يبرز بطاقته الرسمية للحراس القائمين على مدخل وزارة الخارجيـة ، طالبا السماح له بمقابلة المفتش فالموث فورا . ولما حدث المفتش بالامر ، أردف قائلا وهو يقدم اليه المفكرة :

ـ ويخيل لى أن لهذه العبارات علاقة بموضوع الاربعة المنصفين فان د. س معناها داوننج ستريت . و « ر » تعنى رامون و «ف» تعنى فالموث . و «هـ» السكرتير الخاص هاملتون

وما كاد المفتش يقرأ كلمات قليلة حتى صاح منفعلا :

ـ هذه هى خطتنا السرية !

ثم امسك بذراع المخبر ، وأسرع به الى سيارته ألتى اندفعت نحو مركز البوليس . وفى الطريق قال فالموث للمخبر :

ـ من هو اللص ؟

ـ نشال يدعى بيلى ماركس . وهو من سكان حى لامبث ، وقد لا نكون على معرفة به ، ولكنه معروف فى تلك المنطقة

ـ أوه انتى اعرفه تماما . لسوف نرى ماذا لديه من اقـوال وتوقفت السيارة عند مركز ألبوليس ، وقفز الرجـلان منهــا ، وانتصب الجاويش واقفا عندما راى المفتش فالموث يدخل ، ورفع يده بالتحية العسكرية . وقال المفتش باقتضاب :

ـ أريد رؤية النشال بيلى ماركس

وأوقظ بيلى من نومه ، وسيق الى حيث جلس المفتش فالموث الذى قال له فى تلطف :

ـ أريد أن اتحدث معك يا بيلى

فتمتم بيلى قائلا فى خوف شديد :

ـ لماذا يا سيدى المفتش ؟ اقسم لك اننى لم أشترك فى حادث السطو على محلات هوكستون !

ـ اهدأ يا بيلى ! كل ما أريده منك أن تجيب فى صدق على الاسئلة

التى سالقيها عليك الان . ولعلك اذا صدقتنى القول فانك ستظفر بالحرية وبجائزة طيبة ايضا

فخامر بيلى الشك وهو يقول :

ــ اننى لن افشى أسرار أحد اذا كان هذا ما تعنيه

ــ ولا هذا ايضا . اريد ان اعرف من اين جئت بهذه المفكرة

فابتسم بيلى فى خبث وقال :

ــ عثرت بها فى الطريق .

فصاح فالموث بصوت هادر :

ــ اريد الحقيقة !

ــ حسنا . نشلتها

ــ ممن ؟

ــ لم اتوقف لاسال صاحبها عن اسمه !

فكتم المفتش غيظه ، وقال وهو يتنفس بعمق :

ــ اسمع ! هل سمعت عن الاربعة المنصفين ؟

فلما أوما بيلى براسه وقد أرتسمت الدهشة فى عينيه ، استطرد المفتش قائلا :

ــ حسنا ان هذه المفكرة ملك لواحد منهم

ــ ماذا ؟

ــ ان هناك جائزة مقدارها الف جنيه لمن يساعد فى القبض على هؤلاء الاربعة أو على واحد منهم . فاذا أنت وصفت لنا الرجل الذى نشلت منه هذه المفكرة ، واستطعنا على ضوء هذا الوصف ان نظفر به ، فسيكون مبلغ الجائزة من نصيبك .

ــ الف .. الف جنيه ؟ وكان فى مقدورى أن اقبض عليه بسهولة

فصاح المفتش فى ضيق :

ــ لا تزال الفرصة سانحة امامك . ما هو شـ

فقطب بيلى جبينه مفكرا ثم قال :

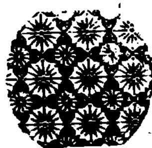
ــ يبدو عليه انه رجل من السادة ، بصديرية بيضاء ، وقميص

أبيض ، وحذاء لامع

ـ ووجهه ؟ ما شكل وجهه ؟!

فصاح بيلى مستنكرا :

ـ وجهـه ؟ من اين لى أن أعرف شكل وجهه ؟ انني لا احاول النظر الى وجه الرجل الذى أنشله



الفصل العاشر

نزوات بيلى

وصاح المفتش بصوت هادر وهو يمسك بخناق بيلى :

ـ أيها الكلب اللعين ، هل تعنى أن واحدا من الرجال الاربعة المنصفين وقع بين يديك دون أن تشفق على نفسك بمجرد النظر الى وجهه ؟

وانتزع بيلى نفسه من قبضة المفتش وقال فى تحد :

ـ ومن أين لى ان أعرف أنه واحد من هؤلاء الاربعة ؟ بل كيف عرفت انت ؟

ثم ابتسم فى مكر وقد خطر له أن ينتهز هذه الفرصة ويصبح سيد الموقف . ومن ثم قال :

ـ اننى لم الق الا نظرة عابرة واحدة عليهم . انهم ..

ـ عليهم ؟ انهم ؟ كم واحدا رايت منهم ؟

فقال بيلى فى استهتار وقد ادرك قوة مركزه :

ـ دعك من هذا

ـ اسمع يا بيلى انك لا تعرف ماذا قد يصيبك اذا لم تصدقنى الحديث !

ـ ها !! لن يستطيع مخلوق أن يرغم مخلوقا آخر على الحديث بالقوة ، انك لا تستطيع ..

وأومأ المفتش الى الجاويش والمخبر ليخرجا من الغرفة ، ولما انفرد ببيلى قال له فى صوت خفيض :

ـ ان هارى موس قد خرج من السجن فى الاسبوع الماضى ؟

واضطرم وجه بيلى ، واغضى بعينيه وهو يقول بعناد :

ـ اننى لا أعرف هارى موس هذا

ـ هاري موس الذى خرج من السجن بعد ثلاثة أعوام وعشرين جلدة بتهمة السرقة بالاكراه . وكان من الممكن أن ينجو من السجن ، لانه لم يترك وراءه آثارا تنم عليه ، ولكن زميلا له ارسل خطابا غفلا من الامضاء يذكر فيه مكان المسروقات . وهكذا قبض على هاري وصدر الحكم عليه . اتعرف من هو الذى ارسل ذلك الخطاب يا بيلى ؟

فلعق بيلى شفتيه فى اضطراب ، ولم يجب ، وعاد المفتش يقول :

ـ ان كل آمال هاري موس الآن هى معرفة مرسل ذلك الخطاب للانتقام منه بطعنة سكين فى الظلام . أتريد يا بيلى أن نستدعيه ونطلعة على الخطاب ونذكر له اسم مرسله ؟

فصاح بيلى قائلا فى انفعال :

ـ ليس هذا من الامانة يا مستر فالموث ، لم يكن هاري صديقا لى ، وقد كنت اعانى ازمة مالية حادة ، وكان رجال البوليس قد وعدوا من يرشد عن المسروقات بجائزة ..

ـ ونحن لا نزال نعد من يرشد عن الاربعة المنصفين ، أو عن واحد منهم بجائزة ضخمة كما تعرف

وبعد برهة صمت ، قال بيلى :

ـ لسوف اذكر لكم كل ما اعرفه عن هذا الامر

ـ ليس فى هذا المكان

واصدر المفتش تعليماته الى الجاويش باطلاق سراح بيلى مؤقتا على ضمانته هو ، ولما مضى به الى سيارته ، قال بيلى متهكما :

ـ هذه أول مرة فى حياتى أخرج من الحجز بضمان احد رجال البوليس

ومضت السيارة بهما الى ادارة اسكتلانديارد ، وهناك ، فى مكتب المفتش فالموث ، قال هذا للنشال بيلى :

ـ قبل أن تبدأ ، اريد منك أن توجز الحديث بقدر الامكان ، لان كل دقيقة تمر لها قيمتها الكبرى

ورغم هذا الانذار ، فقد راح بيلى يتحدث بكثير من التفصيلات التى لا علاقة لها بالامر . وقد قال :

ـ كانا رجلين ، احدهما طويل ، والآخر ليس فى طول زميله . وقد

سمعت القصير يقول للطويل « يا جورج » وقد نشلت والمفكرة من القصير . فهل وجدتم فى المفكرة شيئا ؟

ـ استمر فى حديثك يا بيلى !

ـ حسنا . لقد تتبعتهما حتى وقفا ليعبرا شارع شيرنج كرس حيث استطعت ان أنشل الساعة والمفكرة

ـ كم كانت الساعة عندئذ ؟

ـ حوالى العاشرة والنصف ، أو الحادية عشرة

ـ الم تر وجهيهما ؟

ـ لا . ابدا . ليتنى رايت

ـ اذن فقد ضاعت الفرصة منك . الم تلاحظ مثلا ان كان احدهما ملتحيا أم لا ؟

فهز بيلى راسه فى حزن وقال :

ـ لم الاحظ شيئا . وكان فى مقدورى أن أكذب عليك واخدعك ، واموه عليك بقصة كاذبة ، ولكننى أوثر ان أكون صادقا معك فى هذا الموضوع

وادرك المفتش مدى الاخلاص فى حديث النشال ، فأومأ له وقال :

ـ حسنا يا بيلى . لقد بذلت جهدك على كل حال ، والآن لسوف اذكر لك ما ينبغى ان تفعله . انك الشخص الوحيد فى هذا العالم الذى رأى احد هؤلاء الاربعة وعاش ليتحدث عنهم ، ورغم انك لم تر وجهه ، فمن المحتمل أن تتعرف عليه اذا التقيت به يوما . ولعل هناك حركة مميزة فى طريقة مشيه ، أو عادة معينة فى حركات اليدين ، فان بعض هذه الامور الصغيرة لا يذكرها المرء ولكنه حين يراها سرعان ما يتذكرها . ولهذا السبب ، سوف أتحمل مسئولية اطلاق سراحك حتى بعد غد . اريد منك أن تعثر لنا على هذا الرجل الذى نشلته الليلة . وهذا جنيه ذهبى منحة خالصة لك . واذهب الآن الى البيت ، واسترح ، وغدا تمشى فى الجانب الغربى للمدينة

ثم كتب المفتش بعض الكلمات فى بطاقة وسلمها لبيلى قائلا :

ـ احتفظ بهذه معك . فاذا رايت هذا الرجل أو زميله ، فسلم هذه البطاقة الى أقرب رجل بوليس ، وأشر له على الرجل ، وسوف يقبض عليه فورا ، لانها أمر بالقبض على أى شخص تشير اليه .

وبعد ذلك سوف تعود الى بيتك وفى جيبك الف جنيه

ولما تناول بيلى البطاقة ، ووضعها فى جيب صديريته ، أردف المفتش قائلا :

ــ اذا اردت ان تقابلنى فى أى وقت ، فسوف تجد هنا من يقودك الى حيث أكون . طابت ليلتك

وانصرف بيلى وهو فى شبه ذهول

واسفر صباح اليوم الذى ستشهد فيه لندن أحداثا مثيرة ، عن صباح صاف مشرق . وكان مانفريد ــ على غير العادة ــ قد امضى الليل فى مصنع الزنكغراف بشارع كارنابى ، وراح يرقب تبلج الفجر من فوق سطح غرفة المصنع ، وهى اعلى غرفة فى المؤسسة كلها

وكان راقدا على وجهه ، فوق سجادة قديمة ، ينظر الى اسفار الصباح على مدينة لندن وقد ارتسمت على وجهه اشد امارات القلق والارهاق ، ولما زحف جونزاليز ورقد بجانبه ، نظر الى وجهه ، وقال :

ــ ماذا بك يا مانفريد ؟ هل أنت قلق بشأن بواكارت واللص ؟

ــ نعم . هل شعرت فى حادثة سابقة بمثل ماتحس به اليوم ؟

ــ نعم فى حادثة وارسو . لعلك تذكر كيف كانت الامور سهلة هينة ثم بدأت الظروف السيئة تتعاقب بعضها فى اثر بعض حتى بدأت اشعر ، كما اشعر الآن ، أنه لابد ان نفشل

ــ لا لا لا . ليس هناك مجال للتفكير فى الفشل ابدا

ثم هبط من الباب السرى فى السقف ، وتبعه جونزاليز ، وكان تيرى لايزال مستغرقا فى النوم ، وفيما هما يدخلان الاستديو ، اذا بوقع خطوات وراءهما ، واذا مانفريد يقول :

ــ من الصاعد ؟

ولما سمعا صفيرا معينا ، هتف مانفريد وهو يهبط السلم قفزا :

ــ انه بواكارت . عاد اخيرا !

واقبل بواكارت بوجه غير حليق ، متعبا ، يعلوه الغبار ، فقال له مانفريد :

ــ هه ؟ ما وراءك ؟

ـ دعنا نصعد أولا

وفى المصنع ، قال بواكارت لزميليه بعد ان التقط انفاسه :

ـ ان النجوم فى سمائها تعاكسنا . فقد وقع الرجل الذى نشلنى فى قبضة البوليس ، وهو مجرم عائد معروف من النوع الرخيص ، ولسوء الحظ كان تحت المراقبة فى هذه الليلة ، وعثر على المفكرة معه . وكان من الممكن ان ينتهى الامر عند هذا الحد ، لولا أن المخبر الذكى فطن الى دلالة الاسطر المكتوبة فيها ، فهرول الى المفتش فالموث .

وبعد برهة من الصمت ، أردف بواكارت قائلا :

ـ بعد أن نشلنى اللص ، عدت الى مسكنى حيث ارتديت ملابس اخرى ، ثم مضيت الى داونىج ستريت واختلطت بالمتفرجين هناك ووقفت بالقرب من مدخل وزارة الخارجية ، وهكذا رايت ذلك المخبر وهو يقبل مسرعا فى مركبة ماجورة ، وسرعان ما خرج مع المفتش فالموث ، وركبا سيارة الاخير ، وكنت اتوقع ان اى شىء سيعرف عن هذه المفكرة ، سوف يبلغ فورا الى فالموث ، ولهذا انطلقت وراءهما فى سيارة ماجورة وطلبت من سائقها الاسراع دون ان اثير شكوكه . ورغم انهما سبقانى ، غير أنى قدرت على الفور اتجاههما . وهبطت من السيارة ، وصرفتها ، واخذت ارقب مركز البوليس الذى اتجهت اليه سيارة المفتش ، ولحسن الحظ ، رايت من نافذة الطابق الارضى المفتش فالموث وهو يتحدث مع النشال والمفكرة بين يديه ، وقد عرفت انه النشال من منظره ومظهره ، وحرصت ان أطبع صورة وجهه فى ذهنى ، وهو وجه يثير اهتمامك يا جونزاليز بصفتك احد الخبراء فى علم النفس الجنائى . وجه تبدو عليه الحقارة والدناءة ، طويل الفكين ، زائغ العينين . وكان المفتش يتحدث معه ملوحا بيديه ، والنشال يصيح ! وبدا لى أنه لم يستطع ان يتعرف علينا ، لانه لا ينظر عادة فى وجوه من ينشلهم

وهنا تنهد مانفريد فى ارتياح ، بينما استطرد بواكارت قائلا :

ـ ولكننى اردت ان اتأكد ، فعدت الى مراقبتى لمدخل مركز البوليس ، وسرعان ما رايت سيارة المفتش فالموث تنطلق به مع النشال فى الطريق الى اسكتلانديارد ، فانطلقت وراءهما دون أن أثير

شكوك أحد ، واتخذت لنفسى مكانا للمراقبة بالقرب من مدخل اسكتلانديارد ، وبعد فترة ، رايت النشال يخرج بمفرده ، ويسير خفيفا رشيقا ، وكان وجهه ينم على الدهشة والذهول ، ولما اتجه نحو كورنيش النهر ، تبعته

ـ الم تخش ان يكون هناك من يراقبه سرا ؟

ـ لقد اطمانننت من هذه الناحية . فقبل ان اقتفى اثره ، تأكدت انه ليس هناك من يراقبه . ولما وصلنا الى الكورنيش ، توقف وتلفت حوله ، كأنما لا يدرى اين يذهب ، فمضيت اليه ، وتجاوزته ثم عدت نحوه وانا اتظاهر انى ابحث فى جيوبى عن علبة ثقاب ، واخيرا قلت له :

ـ هل تسمح لى باشعال هذا السيجار ؟

فتناول من جيبه علبة ثقاب ، وسلمنيها واشعلت سيجارى : وقد حرصت على ان ابقى عود الثقاب مشتعلا اطول فترة وان ادنى الضوء من وجهى حتى اجعله يراه بوضوح لاطمئن هل سيتعرف على

فقال مانفريد :

ـ حسنا فعلت !

ـ وكنت فى الوقت نفسه ارقب وجهه ، واخيرا تبادلنا الحديث ، وسرنا معا فى اتجاه بلاك فرايرز ، وعبرنا الكوبرى ونحن نتحدث فى موضوعات عامة عن الجو والصحف . وفى الناحية الاخرى من الكوبرى ، كان ثمة مقهى صغير ، فقررت ان اتخذ الخطوة التالية ، فدعوته لشرب قدح من القهوة ، ولما وضع القدحان امامنا ، وضعت على المنضدة جنيها ذهبيا ، ولكن صاحب المقهى هز راسه قائلا انه لا يملك باقى الجنيه من النقود الصغيرة ، واردف قائلا :

ـ اليس مع صديقك نقود صغيرة ؟

وهنا اخذت اللص العزة بالنفس ، فتناول من جيبه ـ فى كبرياء ـ جنيها ذهبيا ، وضعه على المائدة قائلا :

ـ هذا كل ما لدى الآن

وعثرت على بعض النقود الصغيرة فى جيب آخر ، وكان على ان افكر بسرعة ، اذ عرفت انه اخبر رجال البوليس بشىء يساوى

ـ جنيها ذهبيا مع اطلاق سراحه ، فما هي هذه المعلومات التى استحق عليها هذه المكافاة ؟ انها لا يمكن ان تكون اوصافا لنا ، لانه لو كان قد تعرف على ، لسلمنى الى اقرب رجل بوليس من الرجال الذين مررنا بهم . واحسست بخوف مفاجىء وانا اقول فى نفسى ، لعله تعرف على ، ولكنه ينتظر الفرصة المناسبة لتسليمى الى رجال البوليس ...

وتناول بواكارت من جيبه قارورة صغيرة ، ووضعها بعناية على المنضدة امامه ، واستطرد قائلا :

ـ وكان ذلك اللص فى تلك اللحظة ، اقرب مايكون الى الموت . ولكن شكوكى لم تلبث ان زالت عندما سمعته يقول بعد ان فرغ من شرب قهوته :

ـ لقد آن لى ان اعود الى البيت

فقلت له :

ـ نعم . واعتقد انى سأذهب الى بيتى ايضا . فان لدى اعمالا كثيرة يجب ان اقوم بها غدا

وهنا ضحك اللص وقال :

ـ وانا ايضا . ولكننى لا ادرى هل سأنجح فى القيام بعملى ام لا ..

وغادرنا المقهى ، ثم توقفنا تحت مصباح من مصابيح الطريق ، وكان لدى لحظات قليلة لاظفر بالمعلومات المطلوبة ، فجمعت شجاعتى وقلت :

ـ ماهى آخر انباء المنصفين الاربعة ياترى ؟

فاستدار واولانى جانبه وقال :

ـ وماذا عنهم ؟

واخذت استدرجه بلطف للحديث عن الاربعة المنصفين ، وعن الجائزة المرصودة لمن يتعرف عليهم جميعا او على احدهم ، وقد رايت اللهفة تلتمع فى عينيه وهو يسألنى عن هذه الجائزة ، وعن اجراءات الحصول عليها ، والخلاصة ادركت ، من اسئلته العديدة ومن حديثه ولهفته ، انه مكلف بالبحث عن احد هؤلاء الاربعة ، عنى انا او عن مانفريد ، مادام قد استطاع ان ينشل مفكرتى وساعتى . وقد

عرفت ان اسمه بيلى ماركس

وضحك مانفريد قائلا :

ـ اعتقد انه سيبحث طويلا بلا جدوى

ـ ربما . ولكن اسمع بقية القصة ، فعندما افترقنا ، مضيت غرباً وانا مطمئن تماما الى سلامتنا من هذه الناحية . وتوجهت نحو سوق كوفنت جاردن لانه المكان الوحيد فى لندن الذى يمكن أن يسير فيه الانسان حتى الساعة الرابعة صباحا دون ان يثير الاشتباه فى امره

وبعد برهة صمت ، استطرد بواكارت يقول :

ـ وفيما انا اعبر السوق الذى كان مزدحما بحركة اعداد البضائع للبيع ، التفت ورائى بدافع غريزى لا ادرى كنهه ، واذا بى اجد نفسى وجها لوجه مع بيلى ماركس الذى ابتسم ببلاهة واوما لى براسه ، ثم بادر ، قبل ان اسأله ، ليفسر لى سبب وجوده فى ذلك المكان . وتظاهرت بالاقتناع طبعا ، ودعوته ، للمرة الثانية ، الى شرب قدح قهوة ، فتردد برهة ، ولكنه قبل اخيرا . ولما جاءت القهوة ، سحب فنجانه امامه ، فعلمت عندئذ انه يرتاب فى امرى ، وانه تعرف على منذ اللحظة الاولى ، وانى اخطأت فى تقديرى لذكائه ، لان الخبيث قد عرف كيف يخدعنى ويتظاهر بالغباء

فقال مانفريد :

ـ ولكن لماذا ؟

ـ هذا ما سألت نفسى عنه ! نعم لماذا ؟ لماذا لم يطلب من احد رجال البوليس ان يقبض على ؟ هل يمكن ان تجيب على هذا السؤال ياجونزاليز ؟

فقال جونزالير بهدوء :

ـ التفسير بسيط . انها نزوة من نزوات النفس الاجرامية . فلاشك ان بيلى لم يكن واثقا من وعود رجال البوليس له ، وكان يعتقد ان مجرد القبض عليك لن يأتى بالنتيجة المرجوة بالنسبة له على الاقل . ولذلك راى ان يتبعك سرا ليتوصل الى بقية زملائك الثلاثة

واوما بواكارت براسه ، ثم تحسس ذقنه ، ووضع قنينة السم فى جيبه ، بينما ساله جونزاليز قائلا :

ـ هل زغت منه ، ثم عرفت مقره ؟
ـ طبعا . انه يقيم فى منطقة بوروج ، شارع ريد كروس رقم ٧٠٠
وتناول جونزاليز قلما وورقة ورسم فيها راس رجل بخطوط سريعة ، ولما شاهد بواكارت الرسم ، قال فى اندهاش بالغ :
ـ ان الشبه واضح بين هذا الرسم وبين بيلى ماركس . هل سبق ان رأيته ؟
ـ لا . ولكن مثل هذا الرجل لابد أن يكون له مثل هذا الراس .
ثم نهض ومضى الى الباب ، وتوقف برهة ليقول :
ـ اعتقد انها ضرورة !
فأومأ كل من مانفريد براسه وهو يشير بابهامه الى اسفل ورأى جونزاليز هذه العلامة ، فابتسم ، وغادر الغرفة



كان بيلى ماركس فى حيرة بالغة ومأزق حرج . ذلك انه اضاع صيده بأبسط طريقة معروفة . فعندما توقف بواكارت امام مدخل الفندق الفاخر ، قال لبيلى أنه سيغيب لحظة ثم يعود ، ولكنه بعد لحظات لم يعد ، وفوجىء النشال بهذه الحقيقة البسيطة ، ودهش كيف وقع فى هذا الفخ بعد ان كاد يوقع فيه احد هؤلاء المنصفين الاربعة . نعم ، لقد عرف من اللحظة الاولى أن هذا الرجل هو الذى نشل منه الساعة ومفكرة الجيب ، وكان فى مقدوره ان يسلمه لاول رجل بوليس فى طريقه ، ولكن الخوف من ان يشاركه رجل البوليس فى الجائزة ، والطمع فى ان يظفر ، عن طريقه ، بالاربعة المنصفين جميعا حتى يصبح بطلا فى يوم وليلة ، والشك فى انه قد لا يكون أحدهم فعلا ، كل هذا جعله يتريث فى تسليمه لاول رجل بوليس ؛ وكان بواكارت كيميائيا .. وهاويا للمزج والخلط بين العناصر الكيميائية ، وما أكثر الاوقات التى قضاها فى الخلط والترشيح وما الى هذا وذاك من الاعمال الكيميائية

وكان بيلى قد انطلق يبحث عن رجل استحال لون البشرة فى يده ، وهى علامة كان يستطيع ، لولا خوفه من غدر البوليس ، أن يذكرها للمفتش حتى يمكن الاستدلال على ذلك الرجل

ولما أدرك أن الصيد قد أفلت داخل ذلك الفندق الفاخر ، احس

أن عقله سينفجر من فرط الحنق ، وقرر ان يلعب بآخر ورقة معه ، فتقدم الى مدخل الفندق وهو يستجمع شجاعته ، ولكن البواب الانيق بملابسه الرسمية المطرزة ، نظر اليه فى شك وقال له بخشونة :

ــ ماذا تريد ؟

فقال بيلى بكل مايستطيع من تلطف :

ــ اسمع يا ..

وقبل ان يزيد كلمة أخرى ، كان البواب قد امسك بقفاه ، ودفع به الى الخارج . ولكن بيلى استنكر هذه المعاملة بقوة ، واستدار بعنف وهو يخرج البطاقة البوليسية التى تسلمها من المفتش من جيب صديريته وهتف قائلا :

ــ ويلك !! اننى ضابط مباحث . انظر ، اذا تدخلت فى عملى ، فسوف تندم اشد الندم

وفحص البواب البطاقة ثم قال وهو لايزال مرتابا :

ــ ماذا تريد ؟

ــ أريد الرجل الذى دخل منذ لحظات

فحك البواب راسه وقال

ــ وما هو رقم غرفته ؟

ــ دعك من رقم غرفته ، هل ثمة أبواب أخرى لهذا الفندق ، أبواب خلفية ؟

ــ ستة ابواب

وتأوه بيلى ، ثم قال :

ــ امض بى الى أحدها

وكان أحد هذه الابواب الخلفية يفضى الى زقاق ضيق ، ولما التقى بيلى بأحد الكناسين سأله عن رجل خرج من هذا الباب ، فاجاب على سؤاله بقوله انه شاهد رجلا تنطبق عليه هذه الاوصاف يمر من هذا الزقاق منذ خمس دقائق ، وانه استقل مركبة من شارع ستراند الذى ينتهى اليه الزقاق

وادرك بيلى انه فقد اثر صيده ، فعاد الى كورنيش النهر حزينا كاسف البال ، وراح لمدة ساعة او اكثر يذرعه مطرق الراس ، واضعا

يديه فى جيبى معطفه ، يفكر فى مبلغ الالف جنيه الذى طار من يده فى آخر لحظة ، وفى العفو الذى كان سيظفر به أخيرا ، وفى الشهرة التى كان سيتمتع بها فى انحاء البلاد

وفجأة رفع راسه وقد خطر له أنه لم يفقد كل شيء بعد ، لقد رأى احد هؤلاء الاربعة ، وطبع صورته فى ذهنه ، وعرف مدى طول قامته ، وسمع صوته ، وتأمل لون عينيه ، ولاشك ان هذه الاوصاف اذا هو تقدم بها الى المفتش فالوث ، ثم أدت الى القبض على ذلك الرجل ، فسوف يكون من حقه أن ينال المكافأة او جانبا كبيرا منها على الاقل

ولكن ، هل سيصدقه فالوث ؟ هل سيصدق انه التقى بأحد هؤلاء الاربعة ، وتحدث معه ، وسار بجانبه ، ثم عجز عن تسليمه الى أحد رجال البوليس ؟

وماهو العذر الذى يمكن أن يبرر به هذا الفشل ؟

وفجأة تذكر بيلى حقيقة جعلت الدماء تكاد تتجمد فى عروقه . اذا كان هو قد عرف هذا الرجل ، فلاشك أن هذا الرجل قد عرفه ، وأنه لم يلتق به مصادفة ، وانما اراد ان يتأكد من أنه هو الذى نشل المفكرة من جيبه

ومعنى هذا أن « الاربعة المنصفين » قد ارتابوا فى امره ، ولاشك انهم لن يدعوه وشأنه

واستدار من تاملاته المزعجة ليرى رجلا يقترب منه ، فنظر اليه مرتابا ، فرآه شابا حليق الذقن ، حاد الملامح ، ازرق العينين ، ولكنه حين ازداد اقترابا ، أدرك بيلى أنه انخدع فى مظهره ، اذ رآه أقرب الى سمت الرجولة منه الى ريق الشباب ، وأنه أقرب الى الاربعين من عمره

وكاد بيلى ماركس يمضى فى طريقه ، ولكن الرجل اشار اليه ، فتوقف متسائلا ، فقال الرجل له :

ــ هل أنت المدعو بيلى ماركس ؟

ــ نعم ياسيدى

ــ هل قابلت المفتش فالوث ؟

فقال بيلى مندهشا :

ـ لا . منذ قابلته فى الليلة الماضية !

ـ اذن عليك ان تأتى لمقابلته فورا

ـ أين ؟

ـ فى مركز بوليس كنسنجتون . فقد القينا القبض على رجل نعتقد انه احد الاربعة المنصفين ونريد ان تتعرف عليه

فهبط قلب بيلى ، ثم قال فى أمل بسيط :

ـ هل سيكون لى نصيب فى الجائزة اذا تعرفت عليه ؟

وراود الامل قلب بيلى حين راى الآخر يومىء له براسه ثم يقول :

ـ يجب ان تتبعنى ، ان المفتش فالموث لا يريد ان يرانا احد معا . اشتر تذكرة درجة أولى الى محطة كنسنجتون ، واجلس فى المقصورة التالية لمقصورتى

واستدار الرجل ، وعبر الطريق الى محطة شيرنج كروس ، وبيلى يتبعه على مسافة يسيرة . ولما راح الرجل الغريب يذرع رصيف المحطة جيئة وذهابا ، حرص بيلى على تجنب اية اشارة تنم على وجود علاقة بينهما . وجاء القطار اخيرا ووقف بالمحطة ، وشق بيلى طريقه بين حشود العمال والموظفين الهابطين منه ، حتى اذا راى الرجل الغريب يدخل احدى مقاصير الدرجة الاولى ، دخل هو الى المقصورة المجاورة ، حيث وجد نفسه الراكب الوحيد بها

وفى المسافة بين محطة شيرنج كروس ووستمنستر ، اتيح لبيلى أن يستعرض الموقف كله ، وفى المسافة بين المحطة الثانية وسانت جيمس بارك كان قد استقر على الاعذار والمبررات التى سيعتذر بها للمفتش فالموث عن فشله فى القبض على أحد الاربعة المنصفين بعد أن وقع فى يده للمرة الثانية . وبين محطة بارك وفكتوريا كان قد آستقر على المبررات التى تمنحه الحق فى جزء كبير من الجائزة . وعندما دخل القطار النفق الذى يؤدى ، بعد خمس دقائق ، الى محطة ميدان سلون ،احس بيلى بتيار هوائى ، فالتفت براسه ، واذا به يرى الرجل الغريب واقفا على سلم القطار ، وقد فتح باب المقصورة الخارجى

ودهش بيلى ، ولكن الغريب قال له بلهجة آمرة :

ـ اغلق النافذة التى الى جانبك

واطاع بيلى الامر وكأنه منوم مغناطيسيا ، وفجأة سمع شيئا زجاجيا يتحطم بجواره ، فاستدار وهو يكشر عن انيابه ويقول :

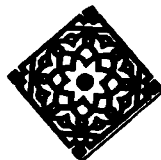
ـ مامعنى هذا ؟

ولكن الغريب كان قد اغلق الباب واختفى

وعاد بيلى يقول فى خمول :

ـ مامعنى هذا ؟

ونظر الى ارضية المقصورة ، فراى قنينة صغيرة محطمة وبجانبها جنيه ذهبى . وبحماقته البالغة ، انحنى ليلتقط الجنيه ، وليلفظ انفاسه وكان ذلك فى نفس الوقت الذى اخذ القطار يقترب فيه من محطة فكتوريا



الفصل الحادى عشر

الأصوات الثلاثة

اختار أحد الركاب مقصورة بالدرجة الاولى أثناء وقوف القطار فى كنسنجتون ، وفتح بابها ليدخل ، واذا هو يتراجع مصدوما مذعورا يسعل بشده ، وهرع اليه أحد موظفى القطار مع أحد الحمالين ، وفتحوا الباب على مصراعيه ، واذا برائحة نفاذة كرائحة النشادر تنساب منه

وتجمع بعض الركاب وراحوا يتسابقون الى النظر من فوق اكتاف بعضهم البعض الى مفتش بالقطار وقد جاء ليتحرى الامر . ثم جاء طبيب ، ومحفة الاسعاف ، واحد رجال البوليس من الشارع القريب

وحملت جثة الرجل الميت من القطار الى رصيف المحطة ، وقال رجل البوليس :

ـ هل وجدتم شيئا فى المقصورة ؟

ـ وجدنا جنيها ذهبيا وقارورة صغيرة محطمة

وبحث رجل البوليس فى جيوب المتوفى وهو يقول :

ـ لا اعتقد أننا سنجد معه أوراقا تدل على شخصيته . فهذه تذكرة درجة أولى . لاشك أنه حادث انتحار . وهذه هى بطاقة . .

وماكاد أن يقلبها بين يديه حتى شحب وجهه ، ثم أصدر تعليمات سريعة ، وانطلق الى اقرب مكتب للتلغراف

واستيقظ المفتش فالوث بعد بضع ساعات قليلة من النوم فى غرفته بدار وزارة الخارجية ، وكان يشعر ، رغم جميع الاحتياطات والتدبيرات ، بالقلق والاضطراب . وارتدى ملابسه بسرعة قبل وصول الحكمدار الذى قال له :

ــ لقد تلقيت تقريرك ، وأرى أنك أحسنت تماما فى اطلاق سراح بيلى ماركس للبحث عن ذلك الرجل المشتبه فيه . الم تسمع شيئا عنه هذا الصباح ؟

ــ لا

فغمغم الحكمدار ثم قال :

ــ اننى لا أظن ..

وقبل ان يتم عبارته ، أردف قائلا :

ــ اتعتقد أن الاربعة المنصفين ادركوا الخطر الذى يتهددهم لضياع المفكرة ؟

ــ طبعا ، طبعا ياسيدى

ــ اذن هل وضعت فى حسابك مايمكن أن يتخذوه لدرء الخطر عنهم ؟

ــ كلا . ولكنهم قد يحاولون الهرب من البلاد فى اللحظة الاخيرة

ــ ألم يخطر ببالك انهم قد يقتفون أثر بيلى ماركس فى الوقت الذى يحاول فيه أن يعثر على أحدهم ؟

فقال المفتش فى قلق :

ــ أن بيلى ماكر خبيث لا ينخدع بسهولة

ــ وكذلك هم . اننى أقترح أن تتصل ببيلى وتخصص اثنين من رجالك لحمايته من بعيد

ــ سوف أفعل هذا فورا . اخشى ان يكون هذا الاحتياط كان واجب التنفيذ من قبل

ــ وسأمضى أنا لمقابلة السير فيليب رامون

ثم ابتسم واردف قائلا :

ــ وسوف أجد نفسى مضطرا لان أزعجه قليلا

ــ لماذا ؟

ــ لاننا نريد أن يسحب من البرلمان مشروع القانون . هل قرأت صحف الصباح ؟

ــ لا يا سيدى !

ــ انهم يقولون انه ينبغى سحب مشروع القانون ، لانه لا يستحق المغامرة بحياة وزير خطير ، وان اكثرية الراى العام غير راضية عن

هذا القانون ، والواقع أنهـــم يخافون من عواقبـــه ، وانا وربى خائف مثلهم

ومضى الحكمدار صاعدا الى مكتب وزير الخارجية ، ولكن رجاله كانوا يستوقفونه فى كل مرحلة ليفحصوا بطاقته الشخصية خشية ان يكون « احد الاربعة المنصفين » متنكرا فى سمت الحكمدار ، كما حدث من قبل

وكان على كل صـــاعد الى مكتب الوزير أن ينطق بمجموعة من كلمات السر فى كل مرحلة من مراحل الصعـــــود . وكانت كلمات السر تتغير كل ساعة من ساعات الليل والنهار . وعلى الجملة كان الوزير فى حالة حصار تام بحيث لايمكن ان يصل الى غرفته رجل غير معروف تماما لرجال البوليس

ورفع يده لينقر على زجاج باب غرفة الانتظار عندما وجـــد المفتش فالموث يشير اليه ، ويمسك بذراعه ، ويقول له بوجه شديد الامتقاع :

ـ لقد تخلصوا من بيلى ، وجدت جثته فى مقصورة بالدرجـة الاولى بقطار الضواحى

ـ وكيف ارتكبوا الجريمة ؟

فقال المفتش بحرارة بالغة :

ـ بغاز حامض البروسيك . انهم من العلماء النوابغ كما يبدو . ارجوك يا سيدى أن تقنع الوزير بسحب مشروع هذا القانون اللعين!

ثم اشار الى غرفة السير فيليب وأردف قائلا :

ـ اننا لن نستطيع انقاذه رغم جميع ما اتخذناه من احتياطات وتدبيرات ، انه رجل مقضى عليه مالم يسحب مشروع القانون

فقال الحمكدار بحدة :

ـ هراء ! يبدو أن اعصابك اليوم مرهفة يافالموث . فأنا لم اسمعك تتحدث هكذا ابدا . يجب أن تعلم ان واجبنا حمايته وانقاذه

ثم استدار نحو احد ضباط الحراسة وقال له :

ـ اسمع ، اذهب الى المفتش كولينز واطلب منه أن يرسل نداء عاجلا لاستدعاء مدد من رجال البوليس من جميع انحاء البلاد ، فورا

ثم أردف قائلا لفالموث :

ـ لسوف احيط السير فيليب رامون بجيش من رجال البوليس لا يقل عدده عن ثلاثين الف رجل . وسوف نرى كيف يستطيع مخلوق أن يصل اليه دون أن ينسحق سحقا

وفى خلال ساعتين شاهدت لندن منظرا لم يسبق له مثيل فى تاريخها الطويل . فمن جميع الاحياء والضواحى والمدن القريبة كانت حشود رجال البوليس تتوافد الى قلب المدينة بجميع وسائل المواصلات ، بالقطارات ، والسيارات والمركبات ، ومركبات الترام ، وكان الاهالى يقفون على الافاريز فاغرى الافواه ، جاحظى العيون ، وهم يرون هذه الجيوش البوليسية وهى تتدافع بكامل اسلحتها الى داوننج ستريت

وما هى غير ساعات حتى أصبحت منطقة هوايت هول باكملها داخل حلقة حديدية من قوات الامن العام ، وكذلك امتلأت بهم منطقة حديقة سان جيمس ، وتوقفت خطوط المواصلات بطريقة آلية بسبب احتشاد رجال البوليس فى شوارع هوايت هول وكان شارع سان جورج محاصرا ايضا ،وفوق جميع اسطح المنازل المحيطة بوزارة الخارجية كمن عشرات من رجال البوليس المسلحين بالبنادق الطويلة المدى ، ولم ينج منزل او غرفة او فندق قريب من وزارة الخارجية من عمليات التفتيش الدقيقة ، التى كانت تجرى فى أوقات متفرقة فى اليوم الواحد . وبدا كأن قانون الطوارىء قد صدر ، بل ان لوائين من الحرس كانا على استعداد للطوارىء فى أية لحظة

وفى غرفة السير فيليب ، كان مساعد الحكمدار ، بمعونة فالموث ، يحاول اقناع الوزير بسحب مشروع القانون من البرلمان . وكان يقول :

ـ أؤكد لك ياسيدى أننا لانستطيع ان نفعل اكثر مما فعلنا . ومع ذلك فلازلت اشعر بالخوف والقلق . ان هؤلاء الناس يلوحون لى انهم من غير طينة البشر . فأنا اشعر بجزع شديد ، لاننا رغم كل هذه الاحتياطات ، قد تكون غفلنا عن ثغرة بسيطة يمكنهم أن ينفذوا منها . ان مقتل ذلك الرجل بيلى ماركس هز أعصابى بشدة . ان هؤلاء الاربعة المجهولين يجمعون بين العبقرية الرهيبة والاصرار

الميت . ولهذا اناشدك الله يا سيدى ان تفكر كثيرا قبل أن تستمر فى تحديهم

ثم توقف برهة قبل أن يردف قائلا :

ـ هل تؤمن فى قرارة نفسك ان هذا القانون جدير بكل هـذه المخاطر ؟

ومرت لحظة من الصمت العميق قبل أن يقول الوزير بصـوت حاسم :

ـ لن اسحب مشروع القانون باى حال . نعم . لن اسحبه !

ورفع يده بسرعة ليمنع فالموث من الحديث ، ثم استطرد قائلا :

ـ لقد تجاوزت الان حد الخوف من اى شىء . ان الموضوع الان أحد أمرين : اما اننى على حق ، فأنجـو ويتم القبض على هؤلاء الاربعة الارهابيين ، واما انى على باطل ، فأموت وينجو هؤلاء رغم كل ما اتخذتموه من احتياطات . ان نجاحهم فى تادية مهمتهم أو فى تحقيق هدفهم رغم كل هذه التدبيرات ، ساعتبره دليلا أكيدا على انهم اناس ينفذون حقا عدالة السماء . وعلى هذا ينبغى ان اتقبل فى رضا النتيجة أيا كانت !؟

ثم تنقل بنظراته من وجه الى وجه ، واردف قائلا :

ـ واحب ان اقول لكم اننى مطمئن تماما الى هذه الاحتياطات التى اتخذتموها ، واعتقد تماما انكم بذلتم كل ما فى وسعكم من جهود ، ولن يكون ثمة لوم عليكم اذا حدث شىء غير متوقع

فقال الحمكدار :

ـ بل سنتخذ المزيد من الحيطة يا سيدى الوزير ، فنحن نريد منك الا تغادر غرفة مكتبك باية حال من الاحوال فيما بين الساعة السادسة والساعة الثامنة والنصف مساء اليوم . وعليك الا تفتح باب الغرفة لاى سبب او لاى شخص ، حتى لو كنت انا او المفتش فالموث الطارق . نعم . لا تفتح الباب اطلاقا حتى تعلن السـاعة النصف بعد الثامنة

ثم تردد برهة قبل أن يردف قائلا :

ـ واذا شئت ان يبقى معك داخل الغرفة احدنا ، فاننا لا نمانع

فبادر الوزير بالاعتراض قائلا :

ـ لا لا . فبعد ماحدث امس من تنكر احدهم فى شخصية المفتش فالموث ، لا استطيع ان اطمئن الى بقاء احد ، ايا كان ، معى فى الغرفة

فأومأ الحكمدار براسه وقال وهو يشير الى جدران غرفة المكتب:

ـ ان هذه الغرفة قد اصبحت محصنة تماما ضد أى اعتداء ، فقد قمنا أثناء الليل بفحص جدرانها وسقفها وارضيتها شبرا شبرا ، ووضعنا فيها من الالواح الحديدية الاحتياطية ما يجعلها أقرب ما تكون الى خزانة من الحديد

وفيما هو يتحدث لاحظ وجود آنية من الزهر على المكتب ،فأسرع اليها ، وراح يفحصها بعناية ويفحص الزهور العاطرة فيها وهو يقول :

ـ انني لم أر هذه الآنية بزهورها من قبل !

ـ لقد جاءتنى الزهور كتحية من عزبتى فى هيرتفورد ، وهى زهور طبيعية عاطرة كما ترى ، لا خوف منها

فقال الحكمدار بعد أن اطمأن :

ـ نعم . نعم . ولكن الاحتياط واجب على كل حال

وبعد ان غادر الوزارة مع المفتش فالموث ، قال له :

ـ انني لا استطيع ان ألوم الوزير على قراره هذا . بل انى أشعر نحوه بالاعجاب اليوم اكثر من أى يوم آخر . ولكن . .

ثم توقف برهة قبل أن يردف قائلا :

ـ ولكننى خائف . . خائف !!

ولما لم يقل فالموث شيئا ، استطرد الحكمدار قائلا :

ـ انني لم أجد فى المفكرة شيئا اكثر من خط سير السير فيليب من قصره الى دار الوزارة ، ثم الى البرلمان ، ثم العودة منه ، وعدد رجال البوليس المخصصين لحراسة كل غرفة. اما الارقام والمعادلات فلم افهم منها شيئا

وبعد ان غادر الرجلان النطاق البوليسى المضروب حول دار وزارة الخارجية بحيث كان من المستحيل على اى انسان غير معروف للبوليس ان يدخله ، مضيا فى الشوارع المحيطة بهذا النطاق ، واذا افاريزها مزدحمة بحشود من اهالى لندن ، رجالا ونساء وشيوخا

واطفالا ، وقد تسابقوا منذ بكور الصباح ليقفوا فى اقرب مكان من مركز الاحداث

وكانت الصحف ، ولا سيما صحيفة الميجـــافون التى اعتبرت نفسها المتحدثة بلسان المنصفين الاربعة ، تصدر الملاحق المتـوالية طيلة ساعات النهار مع الصور المختلفة عن وزارة الخارجيـة ، وعن الاحتياطات الهائلة التى اتخذت لحماية الوزير

وكان شعور الاثارة والانفعال منتشرا ، لا بين أهالى لندن فقط ، وانما فى جميع أنحاء البلاد ، وفى البلاد الخارجية أيضا ، حيث كان مراسلو صحفها يبرقون اليها بالانباء ساعة بعد ساعة

وتوقف الناس فى أنحاء العالم كله عن الحديث عن الحـــروب والسياســـة والازمات ، واخذوا يترقبـــون مرور الساعات ، بل الدقائق ، ليروا نتيجة هذا الصراع الرهيب بين اربعة رجال ، وبين بوليس انجلترا باكمله

وكانت الجموع تزداد ساعة بعد ساعة حتى أصبح من المستحيل ان يجد احد موضع قدم فى الطرقات الواقعة خارج النطاق المضروب حول وزارة الخارجية ، وكان رجال البوليس الراكب يجدون مشقة بالغة فى شق ممر ضيق لسير بعض السيارات البوليسية التى تحمل كبار رجال الامن العام المكلفين بالاشراف على اجراءات الحراســـة طوال اليوم

وقد حدث أن رجلا أجنبيا وصل الى لندن فى عصر ذلك اليوم ، فأدهشته هذه الحشود المتجمعة حول هوايت هول ، وعلى كورنيش النهر ، فسأل رجلا واقفا بين هذه الحشـــود عن السبب ، فأشار الرجل بميسم متبغه الى الجانب الاخر من النهر وقال ببساطة وكانه يتحدث عن شيء عادى :

ـ اننا ننتظر مصرع وزير الخارجية فى الساعة الثامنة

ووجد باعة الصحف سوقا رائجة فى هذه الحشود ، ومن ثم كانوا ينطلقون صائحين وهم يحملون ملاحق الصحف التى أخذت تصـــدر كل ساعة بعد الساعة الخامسة مساء . ذلك ان رجال الصحـــافة أخذوا يتسابقون فى تسجيل كل صغيرة وكبيرة من احـداث ذلك اليوم على أمل ان يكون لها علاقة بالصراع بين المنصفين الاربعة وبين

قوات الامن العام فى انجلترا

وفى الساعة السادسة تماما ، كانت هـــذه العبارة التالية تنتقل بسرعة من جماعة الى اخرى وهم يحملقون فى عقربى ساعة بيج ـ بن الكبيرة :

ـ لم يبق غير ساعتين !

وكانت هذه العبارة تقال بلهجة تنم على الابتهاج والانفعال المثير المتع ، وكانما الجميع ينتظرون رفع الستار عن أروع مسرحيـــة واقعية فى الحياة !

وخيم الصمت على الجميع بعد ذلك ، وإخــذت القلوب تنبض بسرعة ، والانفاس تلهث طيلة لحظات الساعة الاخيرة

وقد حدث تغيير بسيط فى الترتيبات الاخيرة بوزارة الخارجية ، ففى الساعة السابعة مساء ، فتح السير فيليب باب غرفة مكتبه ، حيث كان يجلس بمفرده ، واشار الى الحمكدار ، والمفتش فالموث ليقتربا ، وتقدم هذان نحوه ، ثم توقفا على بعد خطوات منه . وكان الوزير شاحب الوجه ، مغضن الجبين ، تنم عينـــاه على الارهاق والتوتر العصبى الشديد . وقال بصوت حاول أن يجعله هادئا :

ـ لسوف اغلق الباب من الداخل بالمزلاج وبالمفتاح ، فهل هناك تدبيرات أخرى غير التى تم الاتفاق عليها ؟

ـ لا ياسيدى

وتردد الوزير برهة قبل ان يردف قائلا :

ـ اننى أعتبر نفسى منصفا محقا فى هذا الموضوع . فمهما حدث ، فانى راض عن النتيجة . آه ما هذا ؟

فقال الحمكدار وهو يسمع هديرا من بعيد :

ـ ان الجماهير تهتف لك يا سيدى !

فلوى الوزير شفته وقال بمرارة :

ـ لسوف يصاب الناس بخيبة أمل كبيرة اذا انتهى هــذا اليوم بسلام . الجماهير ؟ ليرحمنى الله منها ، ومن عطفها ، ومن هتافها ، ومن اشفاقها الذى لا يحتمل !!

ثم تراجع الى غرفة مكتبه ، وأغلق الباب

وسمع الحمكدار والمفتش صرير المزلاج ، ثم المفتاح وهو يغلق

الباب الضخم من الداخل
ونظر فالوث فى ساعته وقال :
ــ الباقى من الزمن اربعون دقيقة



وفى الظلام الحالك وقف الرجال الاربعة المنصفون
وسمع صوت مانفريد وهو يقول هامسا :
ــ لقد حان الوقت !
وزحف تيرى على أرضية الغرفة وراح يتحسس بيديه باحثا عن شيء وهو يقول متذمرا :
ــ دعونى أشعل عود ثقاب
ــ لا
قالها بواكارت بحدة . أما جونزاليز ، فقد انحنى بسرعة وتحسس بأصابعه المرهفة ، وسرعان ما عثر على سلك كهربائى مفرد ، فوضعه فى يد تيرى . ثم بحث عن السلك الاخر ، وسلمه اليه أيضا . وراح تيرى ببراعة يوصل السلكين احدهما بالآخر وهو يقول بانفاس لاهثة :
ــ الم يحن الوقت ؟
ونظر مانفريد الى ساعة يده ذات الميناء الفوسفورية ثم قال :
ــ لا . انتظر !
واخذ الجميع ينتظرون فى صمت ، وفجاة قال مانفريد :
ــ حان الوقت !
ومد تيرى يده ، ثم ارسل صيحة خافتة ، وسقط على الارض منهارا
وسمع الرجال الثلاثة الصيحة الخافتة ، وراوا شبح تيرى وهو يتهالك على أرضية الغرفة ، وتمتم جونزاليز فى رهبة :
ــ ماذا حدث ؟
وقال مانفريد بعد أن فحص تيرى :
ــ لقد اخطا تيرى ودفع الثمن
ــ ولكن رامون ؟!
ــ سوف نرى . سوف نرى



كانت الدقائق الاربعون الباقية على الساعة الثامنة ، اطول مدة

أحس بها المفتش فالموث فى حياته

لقد حاول بوسائل مختلفة ان يشغل تفكيره بمواضيع اخرى حتى يمر الوقت سريعا ، وكلما نظر فى ساعته ووجد الدقائق تمر بطيئة ، هز راسه فى ضيق ثم نهض وقام بجولة تفتيشية على رجاله المتربصين للحراسة فى جميع غرفات دار الوزارة

وكان يقول للحكمدار للمرة العشرين وهما جالسان فى غرفة السكرتير هاملتون :

ـ اننى لا ادرى ماذا يمكن ان يحدث . فان من المستحيل تماما أن يتمكن هؤلاء الرجال من تنفيذ تهديدهم . نعم من المستحيل قطعا

وكان الحكمدار يقول له :

ـ المهم فى رأيى هو : هل سيحاول هؤلاء الرجال تنفيذ تهديدهم ، أم أنهم ادركوا استحالة هذا . ولكن المؤكد أن مشروع القانون سيظفر بالموافقة الاجماعية اذا خرج السير فيليب رامون من هذه المحنة سليما

ونظر فى ساعته التى لم تفارق يده لحظة منذ اغلق الوزير على نفسه باب المكتب ، ثم قال فى قلق :

ـ باقى من الزمن خمس دقائق

ثم سار خفيفا الى باب مكتب الوزير ووضع اذنه عليه ثم قال :

ـ اننى لا اسمع شيئا

ومرت الدقائق الخمس بطيئة متثاقلة رهيبة ، واخيرا قال المفتش فالموث :

ـ انها الان الثامنة الا بضع ثوان

ومن بعيد سمع الجميع صدى رنين ساعة بيج بن وهى تبدأ دقاتها الثمانية

وقال الحمكدار :

ـ لقد دقت الساعة !

وقال فالموث :

ـ اثنين .. ثلاثة ..

ـ أربعة ..

ــ خمسة . ما هذا ؟

ــ انني لم أسمع شيئا يا سيدى . لا . بل سمعت شيئا

ثم وثب الى باب مكتب الوزير ووضع اذنه على ثقب مفتاح الباب ثم هتف :

ــ ما هذا ؟

وعندئذ سمع داخل الغرفة صيحة ألم خافتة ، ثم ضجة سريعة أعقبها ارتطام جسم بالارض

صاح المفتش فالوث للحراس وهو يلقى بكل جسمه على الباب :

ــ تعالوا . افتحوا الباب معى ، اسرعوا !

ولم يتزحزح الباب عن موضعه قيد شعرة

ــ هلم معا جميعا !

واستطاع أربعة من الحراس الاقوياء أن يدفعوا البــاب بقوة أجسامهم ، وأسرع المفتش فالوث مع الحكمدار الى الداخل ، واذا هما يهتفان فى صوت واحد :

ــ يا الهى !!

لقد رأيا جسم الوزير ، أو على الاصح ، نصفه الاعلى ، متهالكا على سطح المكتب الذى كان جالسا اليه . وكانت الادوات المكتبية متناثرة على الارض ، كأنما كان هناك صراع

وقال الحكمدار بعد ان ألقى نظرة سريعة الى وجه الوزير :

ــ مات !

ولم يكن فى الغرفة أحد غيرهما ، وغير جثة الوزير



الفصل الثانى عشر

كبير المحلفين

كانت قاعة المحكمة مزدحمة فى ذلك اليوم لسماع شهادة حكمدار البوليس وأقوال السير فرانسيس كاتلنج الجراح الشهير ، ثم اقوال المفتش فالموث

وقبل بدء التحقيق ، قال المحقق انه يتلقى كل يوم عشرات من الخطابات من مختلف انحاء البلاد ، يحاول مرسلوها أن يدلوا بآرائهم ونظرياتهم عن الطريقة العجيبة التى لقى بها السير فيليب رامون حتفه ، واستطرد القاضى قائلا :

ـ وقد أخبرنى رجال البوليس انهم يرحبون بمثل هذه الخطابات لان من المحتمل أن يجدوا خيطا يدل على هذه الطريقة

وكان حكمدار البوليس أول من تقدم فى ذلك اليوم للشهادة ، فراح يذكر كيف وجد الوزير ميتا فى مكتبه ، ويصف الغرفة من الداخل وصفا دقيقا ، ويتحدث عن الاجراءات غير العادية التى اتخذها رجال البوليس للمحافظة عليه

ـ هل كانت النوافذ كلها مغلقة باحكام

ـ نعم . بالمصاريع الخشبية والزجاجية ومحصنة بالقضبان الحديدية

ـ هل هناك ما يدل على أن أحدا حاول فتحها ؟

ـ لا . مطلقا

ـ هل قمتم بتفتيش وفحص الغرفة عقب الحادث بدقة ؟

ـ نعم . بدقة بالغة

وهنا سأل كبير المحلفين قائلا :

ـ عقب الحادث فورا ؟

ـ نعم . بعد أن حملت الجثة منها ، رفعنا كل شيء فيها ، المقاعد والخزانات ، والسجاجيد ، وكل شيء

ـ ومع ذلك لم تجدوا شيئا ؟

ـ لا . مطلقا

ـ هل بالغرفة مدفأة كبيرة ؟

ـ نعم

ـ اليس هناك اى احتمال فى دخول أحد الغرفة عن طريق المدفأة ؟

ـ لا . هذا مستحيل

وعاد المحقق الى السؤال قائلا :

ـ هل قرات الصحف ؟

ـ نعم . بعضها

ـ هل قرات ما قالته بعضها بأن الوزير مات مقتولا بغاز خانق ؟

ـ نعم

ـ هل هذا محتمل ؟

ـ لا . لا اعتقد هذا

وهنا قال كبير المحلفين :

ـ هل عثرتم على أية وسيلة يمكن ان يتسرب منها الغاز الخانق الى غرفة الوزير ؟

ـ لا شيء الا ماسورة غاز غير مستعملة لها فتحة فوق المكتب

ـ هل كان هناك أى دليل على وجود مثل هذا الغاز ؟

ـ كلا البتة !

ـ ولا رائحة او اى شيء من هذا القبيل ؟

ـ كلا

ـ ولكن هناك أنواعا من الغازات القاتلة التى لا رائحة لها ، مثل غاز ثانى أوكسيد الكربون !

ـ نعم توجد

وقال كبير المحلفين :

ـ هل قمتم باختبار وتحليل هواء الغرفة بعد دخولكم مباشرة لمعرفة ما اذا كان بها آثار غاز خانق ام لا ؟

ـ لا . ولكننى دخلت الغرفة قبل أن يتلاشى مثل هذا الغاز ان

كان له وجود ولكننى لم الاحظ شيئا

ـ هل كان ثمة اضطراب فى الغرفة عدا الأدوات المكتبية المتناثرة ؟

ـ كلا

وسأله القاضى :

ـ هل وجدت شيئا فى يد المتوفى ؟

فتناول الحكمدار من مفكرته زهرة ذابلة محترقة الحافة وقال :

ـ نعم ، هذه !

وسرت همهمة فزع فى انحاء القاعة ، بينما قال المحقق :

ـ هذه زهرة ؟

ـ نعم

وقرا المحقق التقرير الذى وضعه الحمكدار عن الموضوع ، ثم قال:

ـ هل لاحظت شيئا غير عادى فى يد المتوفى ؟

ـ نعم . رأيت علامة سوداء مستديرة فى الكف الذى كانت به الزهرة

وحدثت همهمة فى القاعة

ـ هل هناك تفسير لهذه العلامة ؟

ـ كلا

وسأله كبير المحققين :

ـ ما هى الاجراءات التى اتخذتها عندما وجدت هذه الزهرة فى كف المتوفى ؟

ـ جمعت بعناية وحذر الزهور الباقية ، وما تبقى فى الآنية من ماء وارسلتها جميعا الى معمل التحليل الجنائى

وعاد القاضى يسأله :

ـ وهل عرفت نتيجة التحليل ؟

ـ لم يجدوا شيئا بقدر ما اعرف

ـ هل شمل التحليل أوراقا من الزهرة التى معك الآن ؟

ـ نعم

وفجاة اثار المحقق موجة من الاهتمام الشديد بين المتفرجين عندما قال بعد أن اطلع على التعارير الموضوعة أمامه :

ـ هل تعرف رجلا يدعى تيرى ؟

ــ نعم
ــ هل هو احد الذين يدعون أنفسهم « الاربعة المنصفين ؟ »
ــ اعتقد هذا
ــ هل هناك جائزة لمن يتعرف عليه ؟
ــ نعم
ــ هل هناك اشتباه فى أنه أحد الذين اشتركوا فى قتل السير فيليب رامون ؟
ــ نعم
ــ هل عثرتم عليه ؟
ــ نعم

وهنا سرت صيحة اندهاش جماعية خافتة من الموجودين فى قاعة المحكمة

ــ ومتى عثرتم عليه ؟
ــ فى هذا الصباح
ــ اين ؟
ــ فى مستنقعات منطقة رومنى
ــ هل عثرتم عليه ميتا ؟
ــ نعم

وعادت الهمهمة مرة أخرى

ــ هل وجدتم فى جسمه علامة خاصة ؟

وكتم الجميع انفاسهم فى انتظار الاجابة

وقال الحكمدار :

ــ نعم . وجدنا فى كف يده اليمنى علامة مستديرة شبيهة بالعلامة التى وجدت فى كف يد السير فيليب اليمنى

وسرت رعدة فى صفوف المستمعين بالقاعة

ــ وهل وجدتم أيضا زهرة فى يده ؟
ــ كلا

واضاف الشاهد الى هذا قوله انهم لم يعثروا مع الجثة على أية أوراق او أى شىء يدل على الطريقة التى جاء بهـا او جىء به الى ذلك المكان

وكان السير فرانسيس كاتلنج ، الجراح الكبير ، الشاهد الثانى . وبعد أن حلف اليمين ، نشر أمامه الأوراق التى دون بها ملاحظاته وامضى نصف ساعة وهو يقرأ تقريرا علميا عن نتيجة ابحاثه . وخلاصة هذا التقرير أن هناك ثلاثة احتمالات لوفاة السير فيليب : اما انه مات ميتة طبيعية بسبب ضعف قلبه ، أو مات مختنقا ، أو نتيجة ضربة أو صدمة عصبية لم تترك وراءها أثرا يدل على الاداة التى استخدمت فى الضرب

ــ ألم تجد اية آثار للتسمم ؟

ــ كلا

ــ هل سمعت أقوال الشاهد السابق ؟

ــ نعم

ــ هل سمعت أقواله بشأن العلامة السوداء ؟

ــ نعم

ــ هل فحصتها ؟

ــ نعم

ــ هل كونت رأيا عنها ؟

ــ نعم . يلوح لى أنها تسببت عن مادة حمضية لاذعة

ــ حامض الكاربوليك مثلا ؟

ــ نعم . ولكن ليس هنـــاك ما يدل على أنها تسببت من حامض معروف يباع فى الأسواق

ــ هل رأيت يد المدعو تيرى ؟

ــ نعم

ــ هل كانت العلامة من نفس النوع ؟

ــ نعم . ولكنها اكبر واكثر تعرجا

ــ هل كان ثمة آثار تدل على وجود مواد حمضية ؟

ــ كلا

وسأله كبير المحلفين :

ــ هل قرات الآراء والنظريات العجيبة التى نشرتها الصحف ؟

ــ نعم . قرأتها بعناية

ــ ألم تجد فيها ما يشير ولو من بعيد الى الطريقة التى استخدمت فى القتل ؟

ــ كلا

ــ وما رأيك فى نظرية الغاز الخانق ؟

ــ مستحيل ، لانه لو كان الغاز أداة القتل ، لاكتشفت أمره فورا

ــ هل يمكن أن يكون احد قد أدخل سرا نوعا من السموم القاتلة التى تقتل شخصا ما بعد مدة معينة ؟

ــ ان هذا النوع من السموم غير معروف فى الدوائر العلمية

وعاد القاضى يسأله :

ــ هل رأيت الزهرة التى وجدت فى يد السير فيليب ؟

ــ نعم

ــ ما رايك فيها ؟

ــ لا اعرف

فسأله كبير المحلفين :

ــ الم تكون رايا محددا عن السبب الذى افضى الى موت السير فيليب ؟

ــ لا ، ولكننى أقدم أحد الاحتمالات الثلاثة التى سبق أن ذكرتها

وعاد القاضى يتابع أسئلته :

ــ هل تؤمن بالتنويم المغناطيسى ؟

ــ نعم ، الى حد ما

ــ وما رأيك فى التنويم الايحائى ؟

ــ اومن به كذلك الى حد ما

ــ هل من الممكن ان يكون الايحاء المستمر لشخص ما انه سيموت فى ساعة معينة سببا لموت هذا الشخص فى الموعد المحدد ؟

ــ لا اعتقد أن هذا ممكن

وقال المحقق :

ــ قد تحدثت عن الضربة القاتلة التى لم تترك أثرا ، فهل وقعت أنظارك على شىء من هذا القبيل ؟

ــ نعم مرتين

ــ كان الموت فيهما سريعا حاسما ؟

ـ نعم

ـ ودون ان تترك الضربة وراءها اى أثر أو علامة ؟

ـ نعم . رايت فى اليابان حالة رجل مات بضغط خاص عنيف على حلقه من الخارج

ـ وهل تعتبر هذه الحالة عادية ؟

ـ كلا ، بل هى شاذة جدا . ولهذا اثارت ضجة فى الأوساط الطبية ، وهى مسجلة فى الموسوعة الطبية الانجليزية عام ١٨٩٦

ـ ولم تترك وراءها اى أثر أو علامة ؟

ـ كلا . مطلقا

وهنا قرا الجراح الشهير فقرات من التقرير المسجل فى الموسوعة الطبية البريطانية عن هذه الحادثة

ـ هل يمكنك القول ان المجنى عليه مات بهذه الطريقة ؟

ـ هذا محتمل

والقى كبير المحلفين عليه هذا السؤال :

ـ هل تقدم هذا الراى على انه احتمال جدى ؟

ـ نعم

وبعد اسئلة اخرى قليلة تناولت الجوانب العلميــة من تقريره ، انتهت شهادة الشاهد

وفيما هو يغادر منصة الشهادة ، سرت فى جو القاعة همهمة تنم على الاستياء وخيبة الامل . فقد كان الجميع يتوقعون ان يعرفوا من هذا الطبيب الشهير سر الطريقة التى قتل بها السير رامون . ولكن شهادة الجراح الكبير لم تكشف عن شىء غير معروف للجميع ، وتركت وفاته سرا غامضا مبهما

وكان الشاهد الثالث هو المفتش فالوث الذى راح يتحدث فى تأثر شديد عن ملابسات الحادث ، وعن الاجراءات التى اتخذت لحماية المجنى عليه ، وكان ظاهرا انه يقدر تقديرا عميقا فشل رجال البوليس فى المحافظة على حياة الوزير ، وكان معروفا للجميع أنه رفع هو والحكمدار استقالتهما لوزير الداخلية ، ولكن الوزير رفض الاستقالة قائلا ان كلا منهما لم يتهاون فى أداء واجبه ، وقد أعاد المفتش ذكر كثير من البيانات التى سبق للحكمدار ان ذكرها فى شهادته ، وكيف

انه وقف عند باب الوزير فى لحظة المأساة . وساد صمت رهيب فى أنحاء القاعة وهو يلقى بيانه بصوته المتهدج الواضح النبرات

ثم بدأ القاضي يلقى عليه أسئلته ، فقال :

ـ تقول انك سمعت ضجة داخل غرفة المجنى عليه ؟

ـ نعم

ـ من اى نوع كانت هذه الضجة ؟

ـ من الصعب أن أصف ما سمعته ، فقد كان يشبه صوت مقعد يجر مثلا على ارضية ملساء

ـ هل يشبه مثلا صوت انزلاق باب أو لوح خشبى فى الجدار ؟

ـ نعم

(همهمة فى القاعة)

ـ هل هذا هو الصوت الذى وصفته فى تقريرك عن الحادث ؟

ـ نعم

ـ هل اكتشفتم فى جدران الغرفة لوحا متحركا ؟

ـ كلا ، مطلقا

ـ أو بابا سريا ؟

ـ كلا ، مطلقا

ـ هل يمكن لاى شخص أن يختبىء داخل احدى الخزانات الموجودة فى غرفة المجنى عليه ؟

ـ كلا . انها خزانات صغيرة للكتب والسجلات ، وقد فتشناها بعناية دقيقة مرات عديدة

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ سمعت طرقعة ثم صيحة السير فيليب . وعندئذ حاولت تحطيم الباب

وسأله كبير المحلفين :

ـ هل كان الباب مغلقا من الداخل اذن ؟

ـ نعم . بالرتاج والمفتاح

ـ وكان السير فيليب بمفرده فى الغرفة ؟

ـ نعم . فقد كانت هذه رغبته الخاصة التى اوضحها فى اول اليوم

وعاد المحقق يسأله :

ــ وبعد المأســـاة ، هل قمت بتفتيش دقيق داخل دار الوزارة وخارجها ؟

ــ نعم

ــ الم تجد شيئا أثار اهتمامك ؟

ــ لا ، ولكننى وجدت شيئا أعتقد انه الآن لا علاقة له بالحادث

ــ ما هو ؟

ــ وجدت عصفورين ميتين على قاعدة النافذة من الخارج

ــ وهل تم فحص وتشريح العصفورين ؟

ــ نعم . ولكن الجراح الذى قام بهذا الفحص قال ان من المحتمل انهما ماتا من التعرض للبرد او من السقوط من الشرفة العليا

ــ هل كان ثمة آثار تسمم فى جسميهما ؟

ــ كلا

وعند هذه النقطة استدعى الجراح الكبير الى الشهادة مرة أخرى ، فقال انه لم يجد اى أثر للتسمم فى جسدى العصفورين

وقال له المحقق :

ــ اذا افترضنا أن الوفاة نشأت من نوع ما من الغازات الخانقة ، فهل يمكن أن يكون العصفوران ماتا عند تسرب القليل من هذا الغاز من خلال مصاريع النافذة ؟

ــ هذا ممكن ان صح الافتراض ، واذا كانا واقفين على قاعدة النافذة من الخارج

فقال كبير المحلفين :

ــ الا تربط بين مصرع هذين العصفورين ومقتل السير فيليب ؟

فقال الشاهد فى تاكيد :

ــ ابدا

وعاد المفتش فالوث الى استكمال شهادته ، فقال له المحقق :

ــ ماهى الظواهر العجيبة التى اثارت انتباهك فى هذه المأساة ؟

ــ لا شىء

ــ هل العلامة السوداء التى وجدت فى يد كل من السير فيليب ، والمدعو تيرى ، وجدت أيضا فى يد المدعو بيلى ماركس ؟

ــ كلا

وانتهت شهادة المفتش

وفيما كان الجميع ينصرفون بعد انفضـــاض الجلسة ، وقف الحاضرون فى حلقات يناقشون أغرب حكم صدر فى تاريخ القضاء . ذلك أن المحقق بعد استشارة المحلفين ، اصدر الحكم التالى :

« وفاة بلا سبب معروف ، وجريمة قتل عمد مع سبق الاصرار ارتكبها شخص أو أشخاص مجهولون »

والتقى القاضى بصديق قديم فى فناء المحكمة ، فقال له هاتفا :

ــ هاللو كارسون ! ظننت أن افلاسك سيمنعك من مشـــاهدة القضية العجيبة . ما رايك فيما رأيت وسمعت ؟

ــ انها لقضية عجيبة حقا

ــ هل شهدت الجلسة كلها ؟

ــ نعم

ــ هل لاحظت براعة كبير المحلفين فى توجيه الأسئلة ؟

ــ نعم . واعتقد انه أصلح للمحاماة منه لادارة الاعمال

ــ هل تعرفه اذن ؟

ــ نعم . لقد اشترى مؤسسة زنكفراف أثيرنجتون وظن انه سيقيم انجلترا ويقعدها بابتكاراته الجديدة فى عالم التصـوير الزنكغرافى ، ولكنه لم يلبث بعد أيام ان اعاد المؤسسة للحراسة متنازلا عن نصف ثمنها

فقال القاضى فى ذهول :

ــ كأنه فشل فى ادارتها ؟

ــ قال ان جو انجلترا لم يعد يلائمه . ما اسمه فقد نسيته ؟

ــ مانفريد جورج مانفريد



الفصل الثالث عشر

الرسالة الأخيرة

كان المفتش فالموث جالسا فى مواجهة الحكمدار بمكتب الأخير ، وكان الصمت يخيم عليهما . واخيرا بسط الحكمدار يده وتناول الخطاب الرمادى الموضوع أمامه وراح يقرؤه للمرة الثانية :

« عندما تتسلم هـــذا الخطاب ، نكون نحن ـ الرجال الاربعة المنصفين ـ قد تفرقنا فى انحاء اوروبا ، وسيكون الاحتمال ضعيفا جدا فى اقتفاء اثرنا . ونحن نقول لكم بلا زهو أو تفاخر ، اننا حققنا الهدف الذى وضعناه نصب أعيننا ، ونقول لكم ايضا بلا نفاق أو تواضع اننا نكرر أسفنا على اضطرارنا لاتخاذ هذه الخطوة الحاسمة لتحقيق هذا الهدف

« ان موت السير فيليب يبدو كأنه نشأ عن حادث وقع قضاء وقدرا . وهذا ما نعترف به . وقد اخطـــأ تيرى وتعثر فى عمليته الاخيرة ، ودفع حياته ثمنا لهذا التعثر والخطأ . لقد اعتمدنا كثيرا على معلوماته الفنية فى الطريقة التى استخدمناها لتنفيذ حكم الاعدام فى السير فيليب . ولعلكم اذا واصلتم البحث والتحرى بعناية ودقة، قد تتوصلون الى سر مقتل السير فيليب . وحين يتحقق هذا البحث، ويجلى الغوامض ستؤمنون بحقيقة هذا البيان الذى نرسله اليكم . وداعا »

وقال الحكمدار :

ـ ان هذه الرسالة الاخيرة لا تدلنا على شىء

وهز المفتش فالموث رأسه بمرارة وقال :

ـ نواصل البحث والتحرى ؟ لقـــد فتشنا كل منزل فى منطقة وارننج ستريت تفتيشا دقيقـا ، فأين يمـكن ان نواصل البحث

والتحرى ؟

ـ ألم تجدوا بين أوراق سجلات السير فيليب ما يمكن أن يهديكم فى هذا الشأن ؟

ـ كلا . لم نجد شيئا من هذا القبيل

فزم الحكمدار شفتيه لحظة ثم قال :

ـ هل قمتم بتفتيش منزله الريفى ؟

ـ لم اعتقد أن هناك ما يدعو الى هذا الاجراء

ـ وقصر بورتلاند ؟

ـ لا . لم نفتشه او نبحث فى أرجائه ، لأنه أخلى من الخدم ، واغلق قبل الحادث بيوم

فنهض الحكمدار وقال :

ـ حاول أن تجرى بعض الابحاث والتحريات فى قصر بورتلاند وهو بين يدى الحارس القضائى فى الوقت الحاضر

واستقل المفتش فالوث مركبة مأجورة ، وبعد ربع ساعة كان يطرق باب قصر بورتلاند ، وفتح الباب خادم مكتئب السمات كان فالوث يعرف أنه كبير خدم السير فيليب الراحل

وقال له المفتش :

ـ أريد أن أقوم ببعض الابحاث فى جوانب القصر يابيركنز . هل حدثت أية تغيرات فى تنظيمه أو أثاثاته ؟

فهز الرجل رأسه نفيا قائلا :

ـ كلا ياسيدى . ان كل شيء لايزال كما هو منذ تركه السير فيليب . بل ان المحامين لم يقوموا بعد بحصر محتويات القصر

فتجاوز المفتش القاعة الكبرى الباردة الرطيبة ، ثم قال :

ـ أريد يا بيركنز أن أبدأ أبحـــاثى فى غرفة مكتب السير فيليب

ـ اخشى أن نجد فى هذا بعض المصاعب يا سيدى

ـ لماذا ؟

ـ انها الغرفة الوحيــدة التى لا نحتفظ بمفتاحها . كان السير فيليب قد زودها بقفل خاص ، وكان يحتفظ بمفتاحه معه دائما . ولاشك أن السبب واضح ياسيدى ، فقــد كان ، بصفته وزيرا للخارجية ، يحرص على الا يدخل احد غرفة مكتبه أثنــاء غيابه

منها ..

وفكر فالموث برهة ، وكان يعرف أن عددا من مفاتيح السير فيليب مودعة فى ادارة اسكتلانديارد . وأخيرا كتب بضعة أسطر فى بطاقته ، ثم بعث بها مع أحد الخدم فى مركبة الى اسكتلانديارد

وفى أثناء الانتظار ، قال للتشريفاتى بيركنز :

ــ أين كنت عندما ارتكبت الجريمة يابيركنز ؟

ــ فى ضيعة السير فيليب ، حيث كان قد ارسل خدمه جميعا

ــ وهذا القصر ؟

ــ كان خاليا . خاليا تماما

ــ ألم تجد بعد عودتك مايدل على أن شخصا ما قد اقتحمه ؟

ــ لا ياسيدى ! يكاد يكون فى حكم المستحيل أن يقتحم احد القصر . فهو مزود بأسلاك تنبيه للخطر متصلة رأسا بمركز البوليس. والنوافذ مغلقة بطريقة آلية

ــ ألم تشاهدوا آثارا على الابواب أو النوافذ تنم على دخول أحد فى القصر ؟

ــ لا ياسيدى . فاننى أثناء عملى طوال اليوم ، الاحظ دائما نظافة طلاء الجدران والابواب والنوافذ ، ولو كانت هناك آثار عليها لما فاتنى ملاحظتها

وبعد نصف ساعة ، عاد الخادم مصحوبا بمخبر من اسكتلانديارد يحمل مجموعة من المفاتيح . ومضى كبير الخدم بهم الى باب غرفة المكتب ، وكان بابا ضخما من خشب السنديان ، مزودا بقفل ميكروسكوبى دقيق

واختار المفتش المفتاح المناسب فى عناية بالغة ، وبعد محاولات قليلة ، انفتح الباب فى هدوء تام ، وتوقف الجميع برهة فى المدخل بسبب الظلام الكثيف الذى كان مخيما على الغرفة

وقال بيركنز :

ــ لقد نسيت ان المصاريع الخشبية مغلقة ايضا . هل أفتحها يا سيدى ؟

ــ اذا سمحت

وبعد لحظات سبحت الغرفة فى ضوء النهار الساطع ، وكانت

مفروشة بأثاثات بسيطة شبيهة بأثاثات غرفة مكتب الوزير فى دار الوزارة . فالمقاعد مكسوة بالجلد ، وتحيط بالجدران خزانات الكتب والسجلات والمراجع ، وفى الوسط مكتب ضخم من خشب الموجنى فوقه ملفات مرتبة بعناية والقى المفتش فالوث نظرة سريعة شاملة على محتويات الغرفة ، وعلى سطح المكتب الذى كانت تعلوه طبقة كثيفة من الغبار . وكان على جانب من المكتب منضدة صغيرة للتليفون

وقال المفتش لبيركنز :

ـ الا توجد اجراس ؟

ـ لا ياسيدى . كان السير فيليب يكره رنين الاجراس ، ولهذا كان يستعمل نوعا من الاجراس لها أزيز خافت ، حتى فى تليفونه هنا وهناك

وتذكر فالوث هذه الحقيقة وقال بسرعة :

ـ نعم . نعم . اذكر هذا . آه ! ما هذا ؟

ثم انحنى بلهفة وهو يقول :

ـ ماذا حدث لآلة التليفون هذه ؟

وكان من حقه أن يسأل . فقد كان حديد الآلة التليفونية ملتويا ومتمرجا ، وكان تحت السماع كمية صغيرة من الرماد الاسود ، أما السلك الذى يوصل الآلة بالاسلاك الخارجية ، فلم يتبقَ منه غير قطعة صغيرة من السلك الملتوى

وتنفس المفتش فى عمق ، ثم التفت الى المخبر وقال له :

ـ أسرع الى الكهربائى ميللر فى شارع ريجنت ، واطلب منه الحضور فورا

وظلّ واقفا أمام آلة التليفون حتى جاء الكهربائى ميللر . فقال له المفتش ببطء ووضوح :

ـ ميللر . ماذا حدث لهذه الآلة التليفونية ؟

ووضع الكهربائى نظارته على قنطرة أنفه وراح يفحص الدمار الذى حدث فى الآلة ، ثم همهم وقال :

ـ يبدو ان احد عمال التركيبات التليفونية قد ارتكب خطأ فظيعا

فهتف فالموث قائلا :

ـ أحد عمال التركيبات التليفونية ؟ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى العامل الذى استخدم لاصلاح التوصيلة التليفونية :

ثم كرر عملية الفحص واردف قائلا :

ـ الا ترى ؟

ـ ارى أن آلة التليفون مدمرة تماما . ولكن لماذا ؟

وانحنى الكهربائى والتقط السلك المحترق من الارض ثم قال :

ـ معناه أن شخصا ما أوصل السلك التليفونى بسلك كهربائى ذى شحنة كهربائية ضخمة . واذا حدث ان كان شخص آخر فى الطرف الثانى من هذا الخط . .

ثم توقف فجأة وقد شحب وجهه ، واخيرا تمتم :

ـ يا اله السماء ! لقد مات السير فيليب مصعوقا بتيار كهربائى !

وخيم الصمت برهة على الجميع ، ثم اخرج المفتش فالموث دفتر المذكرات الذى نشله بيلى ماركس ، ونظر فيه ثم قال :

ـ هذا هو السر الذى اعيانا البحث عنه وهاك اتجاه الاسلاك . ولكن لماذا لم تدمر آلة التليفون فى مكتب السير فيليب بالوزارة ؟

فهز الكهربائى رأسه وقال وهو لا يزال ممتقع الوجه :

ـ اننى لا زلت فى حيرة من نزوات وتقلبات هذه الطاقة الكهربائية العجيبة . والتفسير الوحيد للامر ، أن الجانب الاكبر من الشحنة الكهربائية افرغت بطريقة عكسية بسبب خطأ ما ، فقتلت الشخص الذى كان يعمل على توصيل السلك الكهربائى بالسلك التليفونى ، اما الجانب الاصغر ، فوصل الى الطرف الآخر من السلك عندما رفع السير فيليب السماع

ـ هذا يعنى أن المدعو تيرى ، ومهنته ـ كما عرفنا ـ التخصص فى الشئون الكهربائية والتوصيلات التليفونية ، مات عندما اخطأ فى توصيل السلكين ؟

ـ محتمل جدا

ـ ولكن هل كان الجزء الصغير من الشحنة الكهربائية كافيا لقتل السير فيليب عندما رفع السماع ؟

ـ المرجح ان الصدمة الخفيفة التى شعر بها ، مع حالة الفزع التى

كان يعيش فيها ، ومع ضعف قلبه ، أدت كلها الى أصابته بالسكتة القلبية

وأومأ المفتش برأسه ثم قال :

ـ وهذا يفسر وجود العلامتين السوداوين فى يد كل من تيرى والسير فيليب ، وسر مقتل العصفورين اللذين كانا واقفين ولاشك على السلك التليفونى خارج النافذة ، فسقطا ميتين على قاعدتها . نعم .. أن هذا يفسر كل شيء



وبعد ذلك قامت قوة كبيرة من رجال البوليس بحملة على مؤسسة اثيرنجتون فى شارع كارنابى . ولكن البحث لم يكشف الا عن وجود بقايا سيجار لا يحمل اى اسم بائع تبغ فى انجلترا ، والا عن نسخة من تذكرة سفر الى نيويورك على الباخرة لوكانيا ، بالدرجة الاولى ، ولثلاثة أشخاص

ولما وصلت الباخرة الى ميناء نيويورك ، قام رجال البوليس الامريكى بتفتيشها فى دقة عظيمة من أولها الى آخرها . ولكنهم لم يجدوا اثرا لواحد من الرجال الاربعة المنصفين

ذلك ان جونزاليز هو الذى تعمد ترك هذه النسخة من التذكرة ليجدها رجال البوليس فى انجلترا ويضللهم بها

تمت



سلسلة روايات الهلال

مجلة قصصية شهرية تصدر عن دار الهلال

بدأت حياتها فى يناير سنة ١٩٤٩ باصدار الروايات الخالدة التى وضعها المرحوم جرجى زيدان عن تاريخ الاسلام ولقيت فى عهده انتشاراً كبيراً . . .
ثم واصلت جهودها فى خدمة الأدب القصصى الرفيع بتقديم منتخبات من روائع القصص العالمى . . .

فهل تنقص مجموعتك احدى هذه الروايات ؟ . . .

روايات تاريخ الاسلام لجرجى زيدان

١ ـ فتح الاندلس (نفدت)
وصف اسبانيا وفتح العرب لها

٢ ـ صلاح الدين ومكايد الحشاشين (نفدت)
قصة قيام الدولة الايوبية وحياة مؤسسها

٣ ـ شجرة الدر (نفدت)
قصة مبايعة أول ملكة فى الاسلام بمصر

٤ ـ ارمانوسة المصرية (نفدت)
قصة فتح مصر على يد عمرو بن العاص

٥ ـ عذراء قريش (نفدت)
قصة مقتل الخليفة عثمان بن عفان

٦ ـ ١٧ رمضان (نفدت)
قصة مقتل الامام على وفتنة الخوارج

٧ ـ غادة كربلاء (نفدت)
قصة مقتل الامام الحسين وآل البيت

٨ ـ الحجاج بن يوسف (نفدت)
قصة مقتل عبدالله بن الزبير بعد حصار مكة

٩ ـ شارل وعبد الرحمن (نفدت)
قصة فتوحات العرب فى فرنسا

١٠ ـ أبو مسلم الخراسانى (نفدت)
قصة قيام الدولة العباسية فى بغداد

١١ ـ العباسة اخت الرشيد (نفدت)
قصة نكبة البرامكة فى عهد الرشيد

١٢ ـ الامين والمامون (نفدت)
قصة انتقال الخلافة من الامين لاخيه المأمون

١٣ ـ عروس فرغانة (نفدت)
قصة الدولة العباسية فى عهد المعتصم

١٤ ـ احمد بن طولون (نفدت)
قصة استقلال مصر فى عهد أحمد بن طولون

١٥ ـ عبد الرحمن الناصر (نفدت)
قصة العصر الذهبى للعرب فى الاندلس

١٦ ـ فتاة القيروان (نفدت)
قصة فتح الفاطميين لمصر على يد القائد جوهر

١٧ و ١٨ ـ فتاة غسان « جزءان »
(الجزء الاول نفد)
قصة ظهور الاسلام وفتوحاته الاولى

١٩ ـ الانقلاب العثمانى
وصف حالة تركيا فى عهد عبد الحميد

٢٠ ـ أسير المتمهدى
قصة ثورة عرابى بمصر والمهدى بالسودان

٢١ ـ استبداد المماليك (نفدت)
قصة الحرب بين روسيا وتركيا

٢٢ ـ المملوك الشارد (نفدت)
وصف مصر وسوريا فى القرن الماضى

٢٣ ـ جهاد المحبين (نفدت)
قصة انتصار الحب الصادق برغم كل العقبات

... ومن روائع القصص

٢٤ ـ غرام نابليون فى مصر (نفدت)
تاليف روجيه رجيس

٢٥ ـ غرام عطيل
تأليف أميل لودفيج

٢٦ ـ رسول القيصر
تاليف جول فيرن

٢٧ ـ غادة طيبة
تاليف أجاثا كريستى

٢٨ ـ روميو وجولييت
تاليف بول ريبو

٢٩ ـ غادة الكاميليا
تاليف مرسيل موريت

٣٠ ـ انا كارنينا
تاليف ليو تولستوى

٣١ ـ الزنبقة السوداء
تاليف اسكندر دوماس الاب

٣٢ ـ اغلال الحب
تاليف سومرست موم

٣٣ ـ قلوب تحترق
تاليف ستيفان زفايج

٣٤ ـ ملاك الرعب
تاليف ادجار والاس

٣٥ ـ ذات الرداء الابيض (نفدت)
تأليف ويلكى كولنز

٣٦ ـ الكونت دى مونت كريستو
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٣٧ ـ البعث (نفدت)
تاليف ليو تولستوى

٣٩و٤٠ ـ ذو القناع الحديدى (جزءان) (نفدا)
تأليف اسكندر دوماس الكبير

٤١ ـ ابنة البخيل (نفدت)
تاليف أونوريه دى بلزاك

٤٢ ـ ماساة مايرلنج
تاليف بول ريبو

٤٣ ـ الارض الطيبة
تاليف بيرل بك

٤٤ ـ غراميات راسبوتين
تاليف شارل بنى

٤٥ ـ جريمة فى الريف
تاليف أجاثا كريستى

٤٦ ـ مارى انطوانيت
تاليف ستيفان زفايج

٤٧ ـ الفارس الخامس
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٤٨ ـ الاب الخالد
تاليف أونوريه دى بلزاك

٤٩ ـ مغامرات مستر بيكويك
تاليف شارلز ديكنز

٥٠ ـ كاتالينا
تاليف سومرست موم

٥١ و ٥٢ ـ الفرسان الثلاثة « جزءان»
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٥٣ ـ زهرة الحب
تاليف أونوريه دى بلزاك

٥٤ ـ الشقراء البريئة
تاليف ايرل ستانلى جاردنر

٥٥ ـ شعب وطاغية
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٥٦ ـ الغانية اللعوب
تاليف ايفان تورجنيف

٥٧ ـ صراع الحب
تاليف فيدور دستويفسكى

٥٨ ـ فى مهب الريح
تاليف لين يوتنج

٥٩ ـ اوليفر تويست
تاليف شارلز ديكنز

٦٠ ـ الثورة الحمراء
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٦١ ـ جريمة فى وادى النيل
تاليف أجاثا كريستى

٦٢ ـ قلبان فى عاصفة
تاليف رفائيل سباتينى

٦٣ ـ احدب نوتردام
تاليف فيكتور هيجو

٦٤ ـ الشبح الرهيب
تاليف آجاثا كريستى

٦٥ ـ الحب فى العذاب
تاليف أبيه بريفو

٦٦ ـ العاشق الفارس
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٦٧ ـ البنفسجة الحسناء
تاليف اسكندر دوماس الكبير

٦٨ ـ العاشقة العذراء
تاليف ايفان تورجنيف

٦٩ ـ دافيد كوبرفيلد
تاليف شارلز ديكنز

٧٠ ـ عاصفة وقلب
تاليف فيكتور هيجو

٧١ ـ ذات الشعر الذهبى
تاليف سومرست موم

٧٢ ـ الوحش الرهيب
تاليف ادجار والاس

٧٣ ـ العاشق المجنون
تاليف اميل زولا

٧٤ ـ جوهرة القمر
تاليف ويلكى كولنز

٧٥ ـ السجين الهارب
تاليف ادجار والاس

٧٦ ـ غانية باريس
تاليف اميل زولا

٧٧ ـ جنون الحب
تاليف سومرست موم

٧٨ ـ الخيط الدموى
تاليف كونان دويل

٧٩ ـ صراع بين الاجيال
تاليف ايفان تورجنيف

٨٠ ـ الكلب الجهنمى
تاليف كونان دويل

٨١ ـ المرابية العجوز
تاليف فيدور دستويفسكى

٨٢ ـ قلب محطم
تاليف جى دى موباسان

٨٣ ـ الافق الضائع
تاليف جيمس هيلتون

٨٤ ـ مرتفعات ويذرنج
تاليف اميل برونتى

٨٥ ـ مغامرات شرلوك هولمز
تاليف كونان دويل

٨٦ ـ الزوج الخالد
تاليف فيدور دستويفسكى

٨٧ ـ الارض العذراء
تاليف ايفان تورجنيف

٨٨ ـ رجال الله
تاليف بيرل بك

٨٩ ـ مذكرات شرلوك هولمز
تاليف كونان دويل

٩٠ ـ قلب المراة
تاليف سومرست موم

٩١ ـ امراة فى الثلاثين
تاليف أونوريه دى بلزاك

٩٢ ـ الكنز المفقود
تاليف كونان دويل

٩٣ ـ ابن مصر
تاليف جيمس بسبى الصغير

٩٤ ـ اعلان عن جريمة
تاليف اجاثا كريستى

٩٥ ـ الحب العظيم
تاليف ايفان تورجنيف

٩٦ ـ الكاس الاخيرة
تاليف أجاثا كريستى

٩٧ ـ وادى الرعب
تاليف كونان دويل

٩٨ ـ بنت مصر
تاليف مارجرى لورنس

٩٩ ـ ابنة القائد
تاليف اسكندر بوشكين

١٠٠ ـ الحرب والسلام
تاليف ليو تولستوى

١٠١ ـ عنترة بن شداد « الجزء الاول »
تاليف يوسف بن اسماعيل

١٠٢ ـ نهاية غرام
تاليف جراهام جرين

١٠٣ ـ عنترة بن شداد « الجزء الثانى»
تاليف يوسف بن اسماعيل

١٠٤ ـ خاتم سليمان
تاليف اونوريه دى بلزاك

١٠٥ ـ عنترة بن شداد «الجزء الثالث»
تاليف يوسف بن اسماعيل

١٠٦ ـ الجوهرة الخضراء
تأليف ادجار والاس

١٠٧ ـ خفايا باريس
تاليف سومرست موم

١٠٨ ـ الرجل الثالث
تاليف جراهام جرين

١٠٩ ـ مغامرة فوق القمر
تأليف هربرت ج . ويلز

١١٠ ـ عدالة السماء
تأليف اجاثا كريستى

١١١ ـ غراميات أهل الفن
تأليف برناردشو

١١٢ ـ جريمة على الشاطىء
تأليف جراهام جرين

اشترك في روايات الهلال

(أسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

لبنـــــان و الاقليم الشمالى :	وكالة دار الهـــلال شارع فرنسا صندوق البريد ٣١٥٧ بيروت
العـــــراق :	السيد محمود حلمى ــ المــكتبة العصرية ــ بغداد
الـــلاذقيـــة :	السيد نخله سكاف
جــــــدة :	السيــد هاشم بن على نحاس ــ ص ٠ ب ٤٩٣
البحـــــرين :	السيد مؤيد احمد المؤيد صندوق البريد رقم ٢١
البــــرازيل :	Dr Michel H. Thomé, Pateo Do Colegio, No.3 3° Andar, Sala 9, Sao Paclo, Brasil.
غانا :	Mr. Joseph Hassan, The Cine Travel Co, P. O. Box 1883 ACCRA, GHANA
نيجــــريا :	Mr. Mohammed Said Mansour LAGOS, NIGERIA P. O. Box 652
ســـيراليون :	Messrs. Allie Mustapha & Sons, Freetown, Sierra Leone P. O. Box 410,
سنغـــافورة :	Mr. Ahmed Bin Mohammad Bin Samit, Almaktab Altijari Asshargi, P. O. Box 2205 CINGAPORE

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي



هذه الرواية

اسمينا هذه الرواية : « الحكم الرهيب » واسـمها الاصلى « The Four Just Men » أى « الاربعة العدول » او « الاربعة المنصفون » • ولقد كانت هذه الرواية هى اول رواية بوليسية كتبها ادجار والاس ، ذلك الكاتب الذى عد ثالث ثلاثة برزوا فى الروايات البوليسيـة ، وبلغوا الذروة وقد أثارت هذه الرواية ضجة فى انجلترا عند ظهورها ، لم تظفر بمثلها رواية أخرى

وهؤلاء « الاربعة العدول » هم جماعة نصبوا انفسهم للدفاع عن المجتمع فى كل دول العالم ، وكان شعارهم القصاص ممن لا تستطيع يد القانون ان تمتد اليهم • وقد كشفوا عن أهدافهم فى بعض الصحف وقالوا انهم رأوا الذنوب والشرور ترتكب فى حق الله وحق الناس وحق الاوطان دون ان تصل عدالة الارض الى معاقبـة الآثمين المجرمين ، ولهذا اتخذوا من أنفسهم أداة منفذة لعدالة السماء • ولقد كانت احكامهم التى يصدرونهـا أحكاما عادلة ولا غاية لهم منها الا معاقبة كل مخطىء أثيم • على أن اعجب ما فى قصصهم هو تنفيذ هـذه الاحكام • انها تنفذ بطرق ووسائل مذهلة مثيرة للدهشة تحير رجال البوليس ، وتنفذ فى الوقت المحدد • ولقد بلغوا الذروة فى الدقة والاحكام فى الحكم الذى اصدروه فى انجلترا ، وكان من جراء ذلك ان حدثت ضـجة فى انحاء البلاد ، وقامت وقعدت واتخذت من اجراءات الدفاع عن الضحية كل ما فى طوق الانسان فهل نجحت ، ام نجح الاربعة العدول ؟ •• ذلك ما تراه فى هذه الرواية المثيرة باسلوب ذلك الروائى البوليسى النابغ !

الحكم الرهيب

